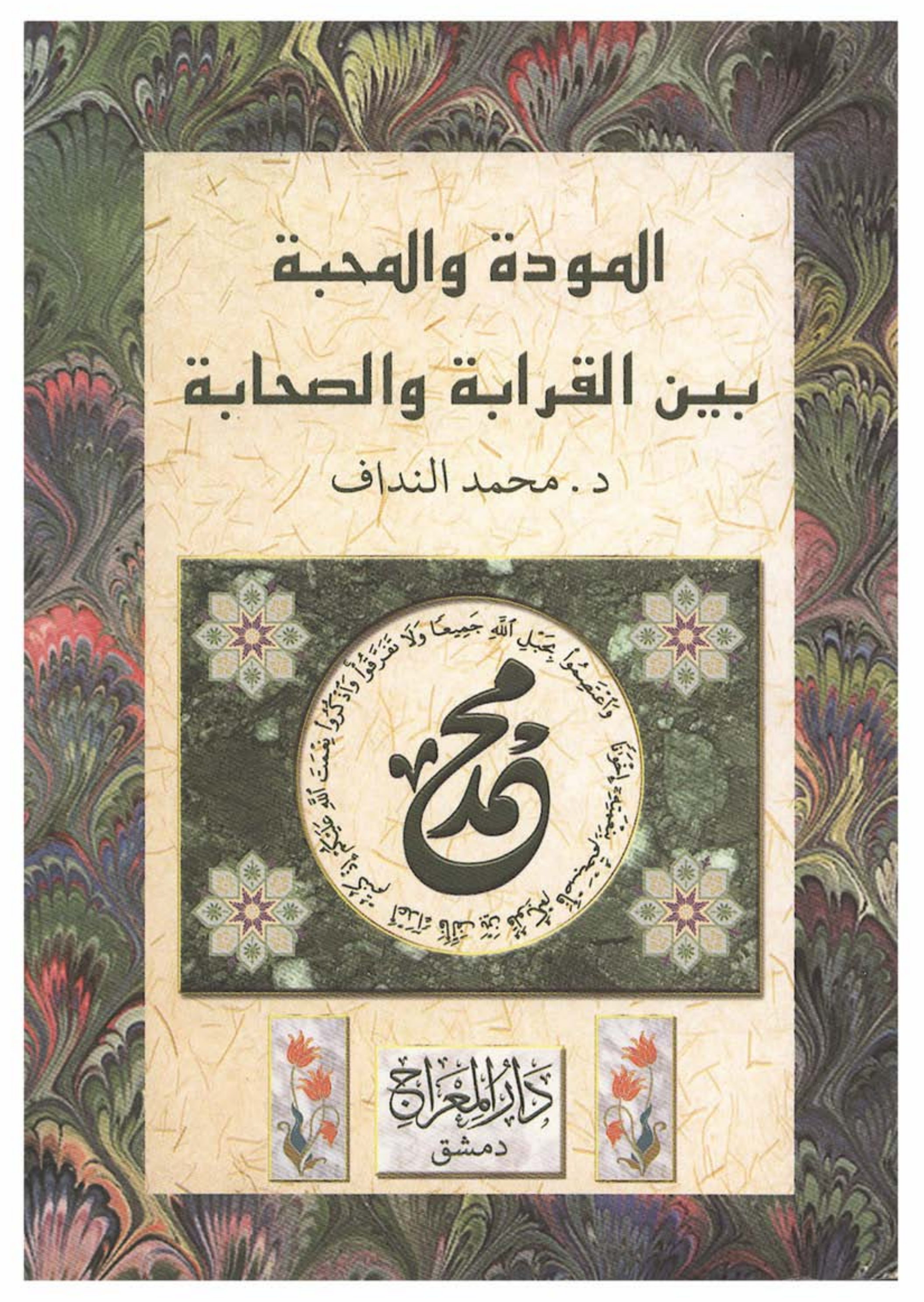
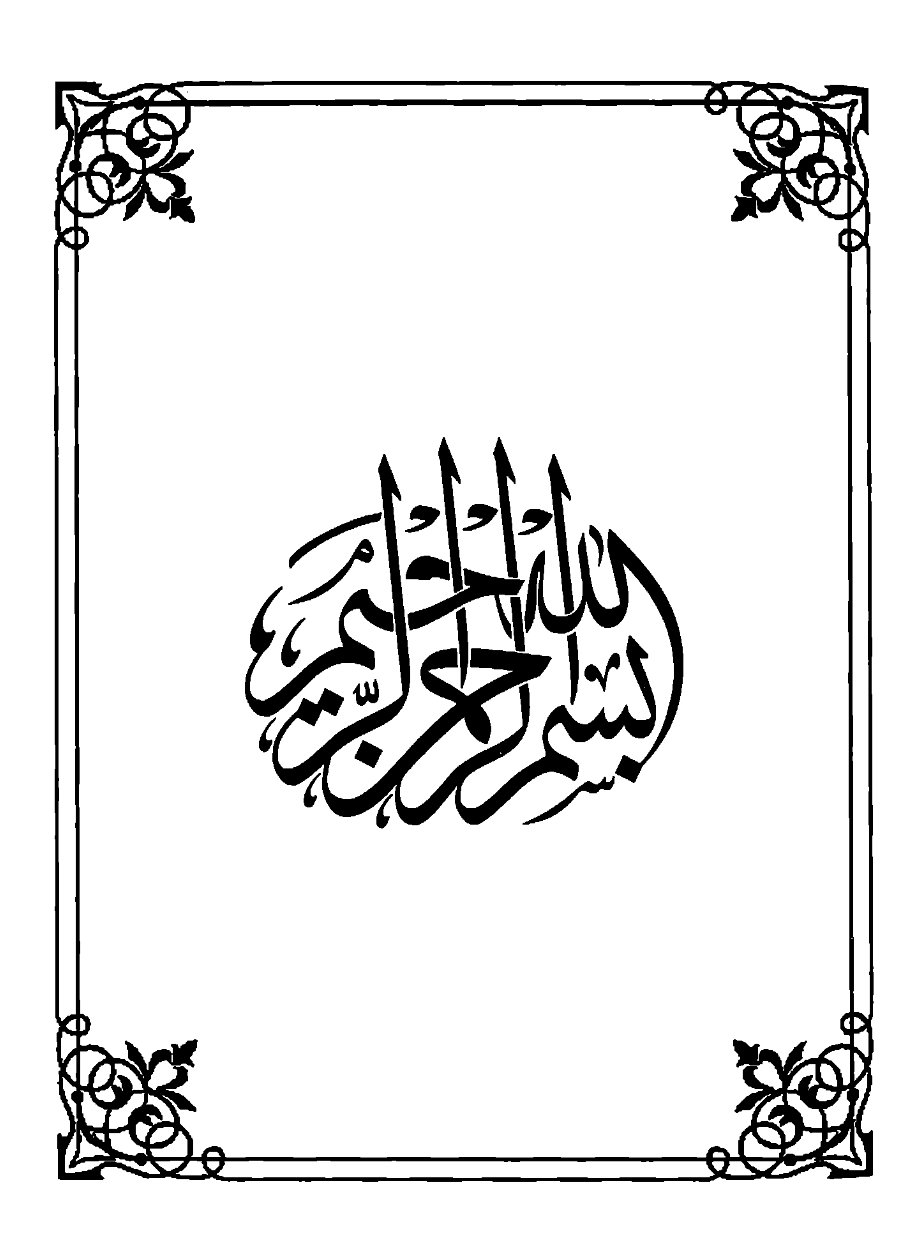

المودة والمحبة
بين القرابة والصحابة
د. محمد النداف
واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله
محمد
دار المعراج
دمشق


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه العزيز في حق أصحاب خاتم رسله ﷺ:

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: ٢٩].

والقائل في حقّ آل بيت نبيِّه: ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ [الأحزاب: ٣٣-٣٤].

والآمر للمسلمين بالأخوّة والاعتصام بحبله المتين في قوله عزَّ من قائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا

وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عِمرَان: ١٠٢-١٠٣].

والصلاة والسلام على من أرسله الله تعالى للعالمين بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، فأدّى الأمانة وبلّغ الرسالة، ونصح الأمة، وكشف الله به الغمة، وجاهد في سبيل الله حتى أتاه اليقين، فجزاه الله خير ما جزى نبيًّا عن أمته ورسولاً عن رسالته.

ورضوان الله وسلامه على صحابته الأخيار وآل بيته الأطهار، ما تعاقب الليل والنهار.

وبعد؛ فإن من أسباب بقاء الأمم بقاء أسوتها ورموزها في ضمير أفرادها، يتخذون منها مشاعل تضيء للأجيال طريقها، وعلاماتٍ يسيرون على هُداها.

ومن وسائل الحرب الفكرية والخلُقية بين الأمم: النَّيْل من رموزها حتى تتساقط من أذهان ووجدان أبنائها، فتعيش الأجيال بلا هداية ولا هوية.

فمن هم رموز أمة الإسلام بعد النبيِّ عليه الصلاة والسلام؟

إنه الجيل القرآني الفريد الذي غرس المصطفى ﷺ غراسه بيديه، وصنعه ﷺ على عينيه.

هذا الجيل من الصحابة الكرام الذي اختاره الله تعالى لصُحْبة خاتم أنبيائه، وربّاه في آيات كتابه وسنّة نبيّه، فكان جيلاً يعجز التاريخ عن الإتيان بمثله. وقد قال ﷺ في حقّه: «**خير أمتي القرن الذين بُعِثْتُ فيهم ثم الذين يَلُوْنَهُم**...»[(١)].

وإذا كان أبسط تعريف للصحابي: أنه «من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على الإسلام»[(٢)]؛ فإن آل بيت النبي ﷺ ـ وهم

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ٢٥٣٤. من حديث أبي هريرة، وعمران بن الحصين، وغيرهما.

(٢) ابن حجر العسقلاني: نخبة الفكر، ص٢١. فلقاء النبي كافٍ لتحقّق شرف الصحبة، أما عند المحدِّثين والأصوليين فقد اشترطوا للصحبة شروطاً. ذكر ابن الصلاح في مقدمته (ص١٧١): أنَّ أصحاب الحديث يطلقون اسم الصحابي على كل من روى عنه حديثاً أو كلمة، ويتوسعون حتى يعدون من رآه رؤية من الصحابة، وهذا لشرف منزلة النبي، ولذلك أعطوا كل من رآه حكم الصحبة.
وذكر: أن اسم الصحابي ـ من حيث اللغة والظاهر ـ يقع على من طالت صحبته للنبيِّ وكثرت مجالسته له على طريق التبَع له والأخذ عنه. قال: «وهذا طريق الأصوليين». وعلى كلّ التعاريف السابقة =

أزواجه وأقاربه في حياته وبنوه وأحفاده ـ من هؤلاء الصحابة الكرام.

فعندما نذكر الصحابة نذكر منهم علياً وفاطمة والحسن والحسين، وجعفراً الطيار، ونذكر العباس وابنه عبد الله. ونتولّاهم جميعاً.

وعندما نذكر آل بيت النبي ﷺ فإنا نتذكر أزواجه أمهات المؤمنين وأقاربه من المؤمنين، ثم نرى أن دائرة آل البيت تتسع لتشمل كل الصحابة الكرام، فـ «**سلمان منّا آل البيت**»[1]، ثم تتسع لتشمل كل عباد الله الصالحين الذين نسلّم عليهم في كلّ تشهُّدِ صلاةٍ[2].

فالصحابة وآل بيت النبي ﷺ هما إذن تجلّيان ووجهان لحقيقة واحدة، هي حقيقة الإسلام المشرقة.

= للصحابي فإن الخلفاء الراشدين وباقي العشرة المبشرين بالجنة، وأمهات المؤمنين، هم من أولى من ينطبق عليهم لقب وشرف الصحبة بلا خلاف بين أهل العلم.

(١) مستدرك الحاكم: ٣/ ٦٩١.

(٢) للاستزادة في معرفة فضائل الصحابة وآل البيت: يراجع: صحيح البخاري، صحيح مسلم، السنن الأربعة، حياة الصحابة، للكاندهلوي، الروض الباسم في الذبِّ عن سنّة أبي القاسم، لابن الوزير اليمني.

ولقد ترك رسول الله ﷺ هذه الأمة على المحجّة البيضاء، ليلُها كنهارها، تركهم على دين الإسلام، ولم يرتضِ لهم أن يتفرقوا شيعاً مختلفين.

غير أن هناك من أراد لهذه الأمة أن تحيد عن دين ربّها عزَّ وجلَّ، وهدي نبيّها ﷺ، وأراد أن يضرب بعض رموز الأمة ببعض، فصار يتولّى بعض الصحابة ويلعن معظمهم، ويتولّى بعض أهل البيت، ويبغض آخرين؛ شأن الذين قال الله تعالى في حقّهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الأنعام: ١٥٩].

وكأن دين الله دينان، دين الصحابة ودين آل البيت، وكأن الصحابة والآل كانوا مختلفين متنافرين، ولم يكونوا أمة واحدة متكافلة متكاتفة متحابّة.

ولا شكّ أن وراء هذا التفريق للأمة تحت مسمّى (التشيع والنصْب)[١] أو التعصّب للصحابة أو لآل البيت عوامل كثيرة،

---

(١) التشيع في أبسط صوره: تولّي علياً رضي الله عنه وتفضيله على باقي الصحابة، ثم إنه تطور عند بعض الطوائف حتى أصبح غلوّاً في علي، وكراهية وشتماً لمعظم الصحابة الكرام رضي الله عنهم.

والنصب: هو كراهة آل بيت النبي ﷺ ونصْب العداء لهم، والمسلمون جميعاً (سنّة وشيعة) براء من النواصب.

=

لعب الجزء الأوفى فيها: الخلافات السياسية في صدر الإسلام، وكذلك ردّات الأفعال، والعواطف الجياشة غير المنضبطة بنور الشرع والعقل، والجهل والتعصّب الأعمى. ناهيك عن الكيد الخارجي الذي يُذكي نار الحقد والكراهية والتفرقة بين المسلمين.

فعلى المسلمين أن يكونوا واعين لكل محاولات التفريق والتمزيق، وأن ينبذوا عبادة الموروثات الجاهلية التي خلّفها التعصّب والجهل وأخطاء التاريخ.

وعلى المؤمنين أن يعيشوا واقعهم، ويبنوا مستقبلهم كما يريده الله تعالى، فهذا خير من أن يضيعوا أعمارهم في التنقيب في أخطاء التاريخ عما يزيد الأمة فرقة، والأحقاد اشتعالاً، فيخسروا ـ كما يريد أعداؤهم ـ الحاضر والمستقبل، والعياذ بالله تعالى.

وقد جاء هذا الكتيّب لينهل من معين تاريخ الأمة ما يؤكد عمق المحبة والتكاتف بين آل بيت النبي ﷺ والصحابة الكرام

= والغلو في علي وكراهة الصحابة من جانب، وكراهية آل البيت ونصب العداء لهم يعدّ من مخلّفات الخلافات السياسية التي حدثت في القرون الأولى من تاريخ الإسلام.

ﷺ، رغم العواصف والمحن، فيزيدنا ـ نحن مسلمي القرن الخامس عشر الهجري، الواحد والعشرين الميلادي ـ محبة وتآلفاً.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين

١١/رمضان/١٤٢٩ هـ

تمهيد
محبة الصحابة وآل البيت في مدرسة أهل السنّة والجماعة

إن العلاقة بين الآل[١] الأطهار والصحابة الكرام علاقة محبة ومودة واحترام، وهذا الذي تورده كتب أهل السنّة جمعاء.

كما أن العلاقة بين الآل والصحابة علاقة متداخلة مترابطة.

فإذا نظرنا من زاوية الصحبة؛ فعليٌّ رضي الله عنه ـ وهو من أعظم أهل البيت شأناً ـ من كبار الصحابة الكرام، وكذلك ابناه الحسن والحسين سبطا رسول الله ﷺ.

وإذا نظرنا من زاوية القرابة، فإن دائرة آل بيت النبي ﷺ تتسع

---

(١) والآل والأهل بمعنى واحد: «وأصل آل: أهل، ثم أبدلت الهاء همزة، ثم أبدلت الهمزة الساكنة ألفاً على القاعدة من إبدال ثاني الهمزتين إذا سكنت حرف مد. قال ابن مالك في ألفيته:

ومدّاً أبدل ثاني الهمزتين من كلمه إن يسكن كآثر واتمن

لتشمل - في بعض صورها[١] - كل مؤمن، فهي ليست إذن مقتصرة على عدد من الأفراد؛ فمن كان طائعاً لله فهو من آل بيت النبيِّ ﷺ، ولذلك جاء عن النبي ﷺ قوله: «**سلمان منّا آل البيت**»[٢].

آل النبي ﷺ هم أتباع سنّته
من الأعاجم والسودان والعربِ
لو لم يكن آلُه إلا قرابته
صلّى المصلي على الآبي أبي لهبِ

وهكذا يتسع قلب المرء المسلم لمحبة صحابة نبيِّه وآل بيت نبيِّه، ويعدّهم على مستوى واحد في وجوب المحبة والإكرام والتعظيم. وقد بيّن القرآن الكريم والسنّة المشرفة مكانة أهل البيت عليهم السلام، دون إجحاف ولا مغالاة، كما بين فضائل الصحابة الكرام رضي الله عن الجميع.

---

(١) ذلك أن لآل البيت معنيان؛ الأول عام يشمل كل المؤمنين، والثاني خاص بأمهات المؤمنين وأقارب النبي، وهم (**آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس**). الذين حرم عليهم أخذ الزكاة، ويعطون نصيبهم من الخمُس على تفصيل ذكره الفقهاء. وتأصيل ذلك في صحيح مسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضائل علي رضي الله عنه، رقم ٢٤٠٨، وأخرجه أحمد في مسنده: ٤/ ٣٦٧.

(٢) مستدرك الحاكم: ٣/ ٦٩١.

وزخرت كتب السنّة بفضل علي رضي الله عنه وفضل سبطي النبي ﷺ وريحانتيه، ولم يدع أهل السنّة مجالاً للشك في محبتهم لآل البيت، ولذا فكتب الحديث السُّنِّية زاخرة بروايات صحيحة متعددة في وجوب اتباع آل البيت ومحبتهم وإكرامهم.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخلت، أو ربما دخلت على رسول الله ﷺ، والحسن والحسين يتقلّبان على بطنه قال ويقول: «**ريحانتي من هذه الأمة**»[1].

وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ على المنبر، والحسن إلى جنبه، ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة ويقول: «**ابني هذا سيِّد ولعلّ الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين**»، وفي رواية: «**فئتين عظيمتين من المسلمين**»[2].

وصدق رسول الله ﷺ، فقد كان قوله في الحسن رضي الله عنه معجزة خالدة، ففي صحيح البخاري: «استقبل والله! الحسنُ بن علي معاويةَ بكتائب أمثال الجبال، فقال عمرو بن العاص: إني

(١) النسائي: سنن النسائي الكبرى ٥/ ٤٩: كتاب: المناقب، باب: فضائل الحسن والحسين ابني علي رضي الله عنه، رقم (٨١٦٦).

(٢) أخرجه البخاري: باب: مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما، رقم ٣٥٣٦، وفصل موقف الحسن رضي الله عنه في الصلح في باب: قول النبي ﷺ للحسن بن علي رضي الله عنهما: ابني هذا سيد..إلخ، رقم ٢٥٥٧.

لأرى كتائب لا تولي حتى تقتل أقرانها، فقال له معاوية ـ وكان والله خير الرجلين ـ: أي عمرو! إن قَتَلَ هؤلاء هؤلاء، وهؤلاء هؤلاء، مَنْ لي بأمور الناس؟ مَنْ لي بنسائهم؟ مَنْ لي بضيعتهم؟

فبعث إليه رجلين من قريش من بني عبد شمس؛ عبد الرحمن بن سمرة وعبد الله بن عامر بن كريز، فقال: اذهبا إلى هذا الرجل فاعرضا عليه، وقولا له واطْلبا إليه، فأتياه فدخلا عليه فتكلَّما وقالا له فطَلبا إليه.

فقال لهما الحسن بن علي: إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال، وإن هذه الأمة قد عاثت في دمائها.

قالا: فإنه يعرض عليك كذا وكذا، ويطلب إليك ويسألك، قال: فمن لي بهذا؟ قالا: نحن لك به، فما سألهما شيئاً إلا قالا: نحن لك به. فصالحه.

فقال الحسن: ولقد سمعت أبا بكرة يقول: رأيت رسول الله ﷺ على المنبر، والحسن بن علي إلى جنبه، وهو يقبِل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول: «**إن ابني هذا سيد، ولعلَّ الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**»[1].

---

(١) أخرجه البخاري: باب: مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما، رقم ٣٥٣٦، وفصل موقف الحسن رضي الله عنه في الصلح في باب: قول النبي للحسن بن علي رضي الله عنهما ابني هذا سيد..إلخ، رقم ٢٥٥٧.

وقال ﷺ في حق عليٍّ رضي الله عنه: «**من كنت وليّه فهذا وليُّه، اللهمَّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه**»(١).

أي أحِبّ من أحبّه وأبغضْ من أبغضه. ويشرح هذا الحديث سبب وروده.

فقد ذكر ابن كثير رحمه الله أن علياً لما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن أميراً هو وخالد بن الوليد، ورجع عليٌّ فوافى رسول الله ﷺ بمكة في حجة الوداع، وقد كثرت فيه المقالة، وتكلّم فيه بعض من كان معه بسبب استرجاعه منهم خِلَعاً كان خلعها نائبه عليهم لما تعجل السير إلى رسول الله ﷺ، فلما تفرغ رسول الله ﷺ من حجة الوداع أحب أن يبرئ ساحة عليٍّ مما نُسب إليه من القول الذي لا أصل له(٢).

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول له لمّا خلفه في بعض مغازيه [في غزوة تبوك] فقال له علي: يا رسول الله ﷺ! خلّفتني مع النساء والصبيان؟

فقال له رسول الله ﷺ: «**أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي**»(٣).

---

(١) الإمام النسائي: السنن الكبرى ٥/ ٤٥.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية ٧/ ٣٣٥.

(٣) صحيح مسلم: ٧/ ١٢٠ كتاب: الفضائل: باب: من فضّل علي رضي الله عنه. =

وإذا كانت كُتب الحديث تبيّن أن علامة الإيمان حب الأنصار، وأن بغضهم علامة النفاق، كما في صحيح البخاري، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: قال ﷺ: «**آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار**»[1] فإن هذه الكتب الحديثية الكريمة تبيّن أن لعلي المزيّة ذاتها، ففي صحيح مسلم قال ﷺ لعلي رضي الله عنه: «**لا يحبُّك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق**»[2].

= وأورده الشيعة في مصنفاتهم: الكليني: الكافي: ٨/ ١٠٧، دار الكتب الإسلامية آخوندي ١٣٨٩هـ. تحقيق علي أكبر غفاري.

وينبغي أن نبيّن أن المشابهة بين هارون ـ عليه الصلاة والسلام ـ وعلي رضي الله عنه ليست على إطلاقها، إذ كلّ ما في الأمر أن النبي استخلف علياً عندما توجه لغزوة تبوك، كما استخلف موسى عليه السلام هارونَ عليه السلام لما ذهب لتكليم ربه سبحانه، وليس في الحديث دلالة واضحة على ثبوت الخلافة لعلي، إنما بيان فضله رضي الله عنه، وقد ثبت عند أهل السنّة أن النبي استخلف على المدينة غير واحد من الصحابة في غزواته، منهم عبد الله بن أم مكتوم رضي الله عنه وغيره.

(١) صحيح البخاري، كتاب: الإيمان، باب: علامة الإيمان: حب الأنصار، رقم١٧، ومن اللطيف أن الإمام مسلماً أخرج الحديثين تحت عنوان واحد في كتاب: الإيمان، فقال: (باب: الدليل على أن حب الأنصار وعلي رضي الله عنه من الإيمان).

(٢) صحيح مسلم: كتاب: الإيمان، باب: الدليل على أن حب الأنصار =

ومن اللطيف أن الإمام مسلماً أخرج الحديثين تحت عنوان واحد في كتاب الإيمان، فقال: (باب: الدليل على أن حب الأنصار وعلي رضي الله عنه من الإيمان).

وقد ذكر سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بعض فضائل علي رضي الله عنه فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم خيبر: «**لأعطينَّ الراية رجلاً يحبُّ الله ورسولَه ويحبُّه اللهُ ورسولُه**»، قال: فتطاولنا لها فقال: «ادعوا لي علياً». فأُتي به أرمد، فبصق في عينه ودفع الراية إليه ففتح الله عليه.

ولما نزلت هذه الآية ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ [آل عِمرَان: ٦١] دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: «**اللهم هؤلاء أهلي**»[١].

وجاءت الوصية برعاية قرابة النبي ﷺ في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشّورى: ٢٣][٢].

= وعلي رضي الله عنه من الإيمان وعلاماته، وبغضهم من علامات النفاق رقم١٣١.

(١) صحيح مسلم: كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضائل علي بن أبي طالب، رقم ٢٤٠٤.

(٢) قال أنور الباز بعد سوقه الأقوال في تفسير هذه الآية: «وأولى الأقوال =

وقال تعالى ذاكراً فضل آل البيت: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]. وجاء حديث الكساء ليؤكد دخول فاطمة وعلي والحسن والحسين رضي الله عنهم في مفهوم آل البيت إلى جانب أزواج النبي ﷺ.

قالت أمّنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «خرج النبي ﷺ غداة وعليه مِرْطٌ مُرَحَّل من شعر أسود[1] فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء عليٌّ فأدخله، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]»[2].

= في ذلك بالصواب وأشبهها بظاهر التنزيل قول من قال: معناه قل لا أسألكم عليه أجراً يا معشر قريش إلا أن تودوني في قرابتي منكم، وتصلوا الرحم التي بيني وبينكم»، ونسبه إلى الطبري في تفسيره جامع البيان ٢٥/ ٢٢،٢٦. مطبعة الحلبي ـ مصر، ط٣ ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م. انظر: عصمة الأئمة عند الشيعة، أنور الباز، ص٩٦.

(١) مرط بكسر الميم وسكون الراء المهملة كساء من صوف أو خزّ، الجمع مروط كذا في القاموس. وقيل: كساء من خزٍّ أو كتان. قوله: مرحَّل بميم مضمومة وراء مهملة مفتوحة وحاء مهملة مشددة ولام كمعظَّم وهو برد فيه تصاوير. ... قال النووي: والمراد تصاوير رحال الإبل. نيل الأوطار: الشوكاني ٢/ ٩٥، دار الجيل، بيروت.

(٢) صحيح مسلم، كتاب: الفضائل، باب: فضائل أهل بيت النبي ﷺ.

ومن الملاحظ أن أم المؤمنين عائشة ﷺ هي راوية هذا الحديث، مما يدل على تقديرها لأقارب النبي ﷺ ابنته وصهره وسبطيه ﷺ.

وجاء في صحيح مسلم: أن أحد التابعين سأل زيد بن أرقم ﷺ أن يكثر من الحديث عن النبي ﷺ فقال له زيد: «يابن أخي! والله لقد كبرت سني، وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله ﷺ، فما حدثتكم فاقبلوا، وما لا فلا تكلِّفونيه.

ثم قال: قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خُمَّاً بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال: **«أما بعد، ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسولُ ربي فأجيب، وأنا تاركٌ فيكم ثقلين، أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به»**.

فحثَّ على كتاب الله ورغّب فيه ثم قال: **«وأهل بيتي، أذكِّركم الله في أهل بيتي، أذكِّركم الله في أهل بيتي، أذكِّركم الله في أهل بيتي»**. فقال له حصين: ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: **نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حُرِم الصدقة بعده[1]، قال: ومن هم؟ قال: هم**

(١) جاء في تكملة فتح الملهم بشرح صحيح مسلم: ٥/ ١٧٧: أن نساء =

آل عليٍّ وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس، قال: كلُّ هؤلاء حُرِم الصدقة؟ قال: نعم»[(١)].

فهذا الحديث لم يقصر آل البيت على بيت علي وبنيه، ولكنه يوسّع الدائرة ليشمل كل من لا تحل له الزكاة بعد النبي ﷺ، ثم نلاحظ أن هذا الحديث قد رواه زيد بعد طول العمر وطروء بعض النسيان، ولكن محبة آل البيت ووصية النبي ﷺ في حقهم بقيت ثابتة في ذاكرته، مما يدلك على تأصُّل مكانة آل البيت في فؤاده وأفئدة إخوانه من صحابة النبي رضي الله عنهم.

وأخرج أحمد بن حنبل في المسند وغيره عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا بعدي؛ الثقلين: أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي»**[(٢)].

= النبي لا تحل لهنَّ الزكاة أيضاً، وأورد حديثاً قال: إسناده حسن. عن عائشة رضي الله عنها قالت: «إنا آل محمد لا تحل لنا الصدقة» أخرجه ابن أبي شيبة.

(١) صحيح مسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضائل علي رضي الله عنه، رقم ٢٤٠٨، وأخرجه أحمد في مسنده ٤/ ٣٦٧.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٣/ ١٤. وهو صحيح بشواهده، إلا عبارة: =

ورواه الترمذي[١]. مختصراً، وذكر أنه مروي (مع أبي سعيد الخدري) عن أبي ذر و زيد بن أرقم وحذيفة بن أسيد[٢] رضي الله عنهم.

ولقد «صلّى زيد بن ثابت رضي الله عنه على جنازة، فقُرِّبت له بغلة ليركبها، فأخذ ابن عباس رضي الله عنهما بركابه، فقال له: خلِّ عنك يا ابن عمّ رسول الله ﷺ، **فقال: هكذا أُمرنا أن نفعل بالعلماء والكبراء، فقبّل زيد يده وقال: هكذا أُمرنا أن نفعل بأهل بيت نبيّنا**»[٣].

وهكذا كانت علاقة المحبة والاحترام المتبادل بين الصحابة

= (حتى يردا عليَّ الحوض) فهي ضعيفة، كما نص على ذلك الشيخ شعيب الأرناؤوط في تحقيقه للمسند.

(١) سنن الترمذي، كتاب، باب مناقب أهل النبي، قال: وهذا حديث حسن غريب.

(٢) حذيفة بن أسيد الغفاري أو الأزدي، أبو سريحة الصحابي، أول مشاهده الحديبية، نزل الكوفة. ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل: ٢/٢٥٦، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، ط١، الطبعة الأولى، ١٩٥٢ م.

(٣) ابن حجر الهيتمي (أبو العباس أحمد بن محمد، ت٩٧٣ هـ): الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة: ٢/ ٦٨١. مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٧م.

وآل بيت النبي ﷺ معبِّرة عن تعاليم الإسلام الذي دعا إلى وحدة قلوب المؤمنين.

ولذلك كان من علماء أهل السنَّة من رُمي بالتشيع، ولم يكن به بأس، وإنما كان سبب ذلك ما عرف عنه من محبة آل البيت وتعاطفه السياسي معهم، وأدرك رجال الجرح والتعديل هذا، فلم يجرّحوا من عُرف بالتشيع المعتدل لا الغالي.

ومن هؤلاء العلماء الذين عُرفوا بالتشيع المعتدل: عبد الرزاق، صاحب المصنف (ت٢١١)، قال العجلي في معرفة الثقات: «عبد الرزاق بن همام يَمَاني ثقة، يكنى أبا بكر، وكان يتشيع»[(١)].

بل وشيخه أيضاً محدّث اليمن معمر بن راشد أبو عروة معمر

---

(١) العجلي (أحمد بن عبد الله ت ٢٦١ هـ): معرفة الثقات: ٢/ ٩٣ رقم (١٠٩٧)، مكتبة الدار ـ المدينة المنورة ط١ ١٤٠٥/ ١٩٨٥، وذكره ابن حبان في الثقات: ٢/ ٤١٢، قال: «روى عنه إمام أهل السنّة أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وإسحاق بن إبراهيم وعلي بن المديني. . .ومات بعد أن عمي. . . كان يخطئ إذا حدّث من حفظه على تشيّع فيه»، وقال عنه ابن حجر (تقريب التهذيب، ص ٥٩٩، دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٥هـ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا): «ثقة حافظ مصنف شهير عُمي في آخر عمره فتغيّر، وكان يتشيع».

بن راشد بن أبي عمرو الأزدي بالولاء الصنعاني اليماني، عدّه الشيعة من رجال الإمام جعفر الصادق، وهو من أئمة أهل الحديث عند أهل السنّة[1].

والإمام الشافعي رحمه الله ـ وقد كان على منهج السنّة في حبِّ الشيخين وتقديمهما ـ يقول:

إن كـان رفـضـاً حـبُّ آل مـحـمـدٍ

فـلـيـشـهـد الـثَقَـلان أنـي رافـضـي[2]

---

(١) انظر: عبد الحسين الشبستري: أصحاب الإمام الصادق: ٣/ ٢٧٨، ٢٧٩: قال: معمر بن راشد أبو عروة معمر بن راشد بن أبي عمرو الأزدي بالولاء، الحداني، وقيل: الحراني، الصنعاني، اليماني، البصري. محدث لم يذكر أصحابنا تفاصيل أحواله في كتبهم، ويعده العامة من ثقات محدثيهم وفقهائهم وحفاظهم، ويقولون عنه: بأنه كان يتشيع. . . . روى عنه عبد الرزاق بن همام، وسفيان الثوري، وعمرو بن دينار وغيرهم. توفي بصنعاء في شهر رمضان سنة ١٥٣، وقيل: سنة ١٥٤، وقيل: سنة ١٥٠، وقيل: سنة ١٥٢ عن ثمان وخمسين سنة.

(٢) رواه السنّة والشيعة عن الإمام الشافعي، أورده المجلسي في بحار الأنوار: ٢٣/ ٢٣٥، وذكره الذهبي: سير أعلام النبلاء: ١٠/ ٥٨ مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٩، ١٤١٣هـ. تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي.

فتقدير علماء السنَّة لأئمة أهل البيت على مدى الزمن أمر لا جدال فيه، ويستمر ما دامت الشجرة النبوية النيِّرة مستمرة، أبقاها الله للمسلمين ذخراً إلى يوم الدين.

ولقد رأينا ذلك التقدير في ثناء أهل العلم على أهل البيت ومشاهيرهم بعد عهد الصحابة الكرام رضوان الله عليهم.

ففي حق زين العابدين علي بن الحسين، رحمه الله، يقول سعيد بن المسيب عالم المدينة الكبير رحمه الله، وهو شيخ الزين: «ما رأيت قط أفضل من علي بن الحسين عليه السلام، وما رأيته قط إلا مقتّ نفسي»[١].

ومن منّا ينسى قصيدة الفرزدق في زين العابدين، والفرزدق في هذه القصيدة يمثّل ضمير الأمة وروحها في محبّة آل البيت الكرام. قال الشعبي: «حج الفرزدق بعدما كبر، وقد أتت له سبعون سنة، وكان هشام بن عبد الملك قد حج في ذلك العام، فرأى **عليَّ بن الحسين** في غمار الناس في الطواف، فقال: من هذا الشاب الذي تبرق أسرّة وجهه كأنه مرآة صينية تتراءى فيها عذارى الحي وجوهها؟ فقالوا: هذا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم، فقال الفرزدق:

---

(١) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت ٢٨٤ هـ): تاريخ اليعقوبي: ٢/ ٣٠٣.

هـذا الـذي تَعرِف البطحاءُ وطأتَه
والبَيْتُ يَعْرِفه والحِلُّ والحرمُ
هـذا ابنُ خيرِ عبادِ الله كلِّهم
هذا التقيُّ النقيُّ الطاهرُ العلَمُ
هذا ابنُ فاطمةٍ إن كنتَ جاهله
بجدِّه أنبياءُ الله قد خُتِموا
وليس قولُك: مَن هذا؟ بضائرِه
العُرْبُ تعرِف مَنْ أنكرتَ والعجم
إذا رأتْه قريشٌ قال قائلهم:
إلى مكارِمِ هذا ينتهي الكرمُ
يُغْضِي حياءً ويُغْضى من مهابته
فما يُكَلَّمُ إلا حين يَبْتسِم
بكَفّه خيزْرانٌ رِيحُها عَبِقٌ
من كفّ أروعَ في عِرْنينه شمم
يكاد يُمسكه عِرْفانَ راحته
رُكنُ الحطيم إذا ما جاء يستلم
ما قال: (لا) قطُّ إلا في تَشَهُّدِه
لولا التشهُّد كانت لاؤُه (نعم)

اللهُ شــرَّفــه قِــدْمــاً وعَــظَّــمــه
جَـرَى بـذاك لـه فـي لـوحِـه الـقـلـم

أيُّ الـخـلائـق لـيـسـت فـي رقـابـهـم
لأَوَّلـــيَّـــة هـــذا أو لَـــهُ نِـــعَـــمُ

مَـنْ يـشـكـرِ اللهَ يـشـكـرْ أَوّلـيَّـة ذا
فـالـدِّيـن مـن بـيـت هـذا نـالـه الأمـم

يَنْمِي إلى ذِروة الدين التي قَصُرت
عـنـهـا الأكـفُّ وعـن إدراكـهـا الـقَـدَمُ

مَـنْ جَـدُّه دان فَـضْـلُ الأنـبـيـاء لـه
وفَـضْـلُ أمَّـتـه دانـت لـه الأمـم

مُـشـتـقَّـةٌ مـن رسـول الله ﷺ نَـبـعـتُـه
طـابـت مـغـارسُـه والـخِـيـمُ والـشِّـيَـمُ

يـنـشـقُّ ثَـوبُ الـدجـى عـن نُـور غُـرَّتـه
كالشمس تنجابُ عن إشراقها الظُّلَم

مِنْ مـعـشـرٍ حـبُّـهـم ديـنٌ وبـغـضـهـمُ
كُـفْـرٌ وقُـرْبُـهُـم مَـنْـجـىً ومُـعْـتَـصَـم

مُـقَـدَّمٌ بـعـد ذكـر الله ذِكـرُهُـم
فـي كـلِّ بـدْء ومـخـتـومٌ بـه الـكَـلِـم

إن عُدَّ أهلُ التُّقى كانوا أئمتَهم
أو قيل: مَنْ خيرُ أهل الأرض؟ قيلَ: همُ
لا يستطيع جوادٌ كنهَ جودهمُ
ولا يدانيهمُ قومٌ وإن كرموا
يُسْتَدفَع الشّرُّ والبلوى بحبِّهمُ
ويسترَبُّ به الإِحْسانُ والنِّعَم»[1]

ويقول أهل السنَّة عن ولده محمد الباقر: «أبو جعفر محمد بن علي، من خيار أهل العلم والدين، وقيل: إنما سمّي الباقر لأنه بقَر العلم، لا لأجل بقْر السجودِ جبهتَه»[2].

ويقول عنه ابن كثير: «تابعي جليل كبير القدر، أحد أعلام هذه الأمة علماً وعملاً وسيادة وشرفاً»[3].

أما ابنه جعفر الصادق عند أهل السنَّة فهو: «أحد الأئمة

---

(١) أخرج القصة وبعض هذه الأبيات الطبراني في المعجم الكبير: ٣:١٠١، والخطيب البغدادي في تاريخ مدينة دمشق: ٤١/ ٤٠٠ وأوردها كاملة أبو الفرج الاصبهاني: الأغاني ١٠/ ٣٧٨، ٣٧٩، وانظر: بحار الأنوار ٤٦/ ١٢٥، ١٢٦.

(٢) ابن تيمية: منهاج السنّة ٤/ ٥٠ بقَرَ: أي شقَّ ووسَّع.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية ٩/ ٣٣٨. دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ط١ ١٤١٨هـ. تحقيق: علي شيري.

الأعلام، بَرٌّ صادق كبير الشأن»[١]، و«قال عمرو بن أبي المقدام: كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمد علمت أنه من سلالة النبيين»[٢].

وقد قال الإمام مالك، وهو أحد معاصريه: «اختلفت إليه زماناً، فما كنت أراه إلا على ثلاث خصال: إما مُصَلٍّ، وإما صائم، وإما يقرأ القرآن، وما رأيته يحدّث إلا على طهارة»[٣].

وقد روى عنه علماء السنَّة منهم، «شعبة والسفيانان ومالك وابن جريج، وأبو حنيفة، وابنه موسى، ووهيب بن خالد، والقطان وأبو عاصم، وخلق كثير»[٤].

كل هذا يدلّنا على عميق محبّة أهل السنّة والجماعة لآل بيت النبي ﷺ، هذه المحبة التي ما تزال ماثلة في قلوبهم وعقولهم، وفي سلوكهم وأشعارهم، وأناشيدهم.

وما زال عامة أهل السنّة وعلماؤهم يتقربون إلى الله تعالى بمحبة ومودة وزيارة وإكرام كل من عُرف بانتسابه إلى الدوحة النبوية، وهم ولله الحمد مبثوثون في معظم بلاد المسلمين.

---

(١) الذهبي: ميزان الاعتدال: ٢/ ٢٨٥.

(٢) ابن تيمية: منهاج السنة: ٤/ ٥٢، ٥٣.

(٣) تهذيب التهذيب: ٢/ ٨٨.

(٤) المصدر السابق نفسه.

ولقد ارتضع أهل السنّة والجماعة هذه المودة لآل بيت النبي ﷺ مما عرفوا من سيرة الصحابة الكرام مع آل بيت النبي ﷺ عليه وعليهم الصلاة والسلام.



الفصل الأول

موقف الصحابة الكرام ﷺ

من آل بيت النبي ﷺ

لقد ثبت في صحاح أهل السنّة وكتب التاريخ احترام الصحابة الكرام لعليٍّ ﷺ وللحسن والحسين ﷺ، والتاريخ يشهد كيف كانت صحبة علي لأبي بكر ﷺ، فقد أخرج النسائي: عن عقبة بن الحارث قال: **إني مع أبي بكر حين مرَّ على الحسن فوضعه على عنقه ثم قال: بأبي! شبيه النبي ﷺ لا شبه علي. وعليٌّ معه فجعل يضحك»**[1].

وصحَّ عن أبي بكر ﷺ أنه قال لعلي ﷺ: **«والذي نفسي بيده! لقرابة رسول الله ﷺ أحبّ إليَّ أن أصِل من قرابتي»**[2].

---

(١) سنن النسائي الكبرى: كتاب: المناقب، باب: فضائل الحسن والحسين ٥/٤٨ رقم (٨١٦١) دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

(٢) صحيح البخاري: باب: مناقب قرابة رسول الله رقم٣٥٠٨، وانظر: =

وحلف عمر للعباس رضي الله عنه أن إسلامه أحبّ إليه من إسلام أبيه لو أسلم؛ لأن إسلام العباس أحبّ إلى رسول الله ﷺ[1].

وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال: قدم على عمر حُلَلٌ من اليمن، فكسا الناس، فراحوا في الحلل، وهو بين القبر والمنبر جالس والناس يأتونه فيسلِّمون عليه ويدعون له، فخرج الحسن والحسين من بيت أمهما فاطمة يتخطّيان الناس وليس عليهما من تلك الحلل شيء، وعمر قاطب صارٌّ بين عينيه، ثم قال: والله! **ما هنأ لي ما كسوتكم**. قالوا: يا أمير المؤمنين كسوت رعيتك فأحسنت. قال: من أجل الغلامين يتخطيان الناس وليس عليهما منها شيء، كبرت عنهما وصَغرا عنها، **ثم كتب إلى اليمن أن ابعث بحلّتين لحسن وحسين وعجّل، فبعث إليه بحلّتين فكساهما**»[2].

= ابن تيمية: منهاج السنّة النبوية ٤/ ٢٥٤، الصواعق المحرقة: ٢/ ٦٨١.

(١) ابن حجر الهيتمي أبو العباس أحمد بن محمد (٩٧٣ هـ): الصواعق المحرقة: ٢/ ٦٨١، ٦٨٢. باب: إكرام الصحابة ومن بعدهم لأهل البيت.

(٢) المتقي الهندي، كنز العمال: ١٣/ ٦٣٤. صارٌّ: أي جامع بينهما كما يفعل الحزين، وأصل الصر: الجمع والشد.

وهذه الرواية تبيّن عظيم اهتمام عمر ﷺ بشأن حفيدَي النبي ﷺ، لدرجة أنه كتب كتاباً إلى جهة بعيدة لكسوة سيِّدَي شباب أهل الجنة.

وتذكر لنا المصادر ملاطفة عمر بن الخطاب ﷺ للحسين، وقد كان طفلاً صغيراً: عن الحسين بن علي قال: «أتيت عمر وهو يخطب على المنبر، فصعدت إليه فقلت: انزل عن منبر أبي واذهب إلى منبر أبيك. فقال عمر: لم يكن لأبي منبر، وأخذني فأجلسني معه أقلّب حصى بيدي، فلما نزل انطلق بي إلى منـزله فقال لي: من علَّمك؟ قلت: والله! ما علّمني أحد، قال بأبي! لو جعلت تغشانا.

قال: فأتيته يوماً وهو خالٍ بمعاوية، وابن عمر بالباب، فرجع ابن عمر فرجعت معه، فلقيني بعدُ قلت فقال لي: لم أرك. قلت: يا أمير المؤمنين! إني جئت وأنت خالٍ بمعاوية فرجعت مع ابن عمر.

فقال: **أنت أحق بالإذن من ابن عمر، فإنما أنْبَتْ ما ترى في رؤوسنا الله، ثم أنتم**»[1].

---

(١) ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة: ٢/ ٧٧، ٧٨. وقال: بسندٍ صحيح.

وإن كانت معاملات البشر لا تخلو من خلاف في وجهات النظر؛ فإن هذه الخلافات لا تنفي المحبة والاحترام المتبادل بين الصحابة الكرام ﷺ وآل بيت النبي ﷺ.

فقد روى أهل السنّة أحاديث كثيرة في مدح عليٍّ ﷺ، في البخاري ومسلم وغيرهما.

وليس نقل هذه الأحاديث في كتب السنّة تفضّلٌ من أهل السنَّة على علي ﷺ، بل هي الأمانة العلمية والدينية التي تميّز بها أهل السنّة عن غيرهم، حيث بلّغوا الأمة ما قاله نبيّها ﷺ في أصحابه الكرام ﷺ كلّهم دون تفريق بين أحد منهم.

فهذه رواية صحيحة تجعل حبّ عليٍّ من علامات الإيمان، وبغضه من علامات النفاق؛ عن زر بن حبيش قال: قال علي ﷺ: (**والذي فلَق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي ﷺ إليَّ أن لا يحبّني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق**)[١]. وروى البراء بن عازب قول النبي ﷺ في حق عليٍّ: (**مَنْ كنت وليَّه فهذا وليُّه، اللهمَّ وال من والاه وعاد من عاداه**)[٢].

---

(١) صحيح مسلم: كتاب: الإيمان، باب: الدليل على أن حب الأنصار وعلي من الإيمان وعلاماته، وبغضهم من علامات النفاق رقم (١٣١).
فلق الحبة: أي: شقها بالنبات، وبرأ النسمة: أي: خلق الإنسان.

(٢) الإمام النسائي: السنن الكبرى ٥/ ٤٥، دار الكتب العلمية بيروت،

وروى سعد بن أبي وقاص قول النبي ﷺ في حقه: (**أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي**)[(١)].

وعن أبي عمار قال: دخلت على واثلة بن الأسقع وعنده قوم فذكروا علياً، فلما قاموا قال لي: ألا أخبرك بما رأيت من رسول الله ﷺ؟ قلت: بلى، قال: أتيت فاطمة ﷺ أسألها عن علي، قالت: توجَّه إلى رسول الله ﷺ فجلست أنتظره حتى جاء رسول الله ﷺ ومعه علي وحسن وحسين ﷺ آخذ كل واحد منهما بيده حتى دخل فأدنى علياً وفاطمة فأجلسهما بين يديه وأجلس حسناً وحسيناً كل واحد منهما على فخذه، ثم لفَّ عليهم ثوبه أو قال: كساءً ثم تلا هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣][(٢)].

= ١٤١١هـ/ ١٩٩١، وأحمد في مسند البراء بن عازب: ١/ ١١٨ بسندٍ صحيح لغيره.

(١) صحيح مسلم: ٧/ ١٢٠ كتاب: الفضائل: باب: من فضل علي ﷺ. وأورده الشيعة في مصنفاتهم: الكليني: الكافي ٨/ ١٠٧، دار الكتب الإسلامية آخوندي ١٣٨٩ هـ، تحقيق: علي أكبر غفاري.

(٢) الإمام أحمد: المسند: ٤/ ١٠٧. دار صادر ـ بيروت. وقال البيهقي (السنن الكبرى: ٢/ ١٥٢) إسناده صحيح.

وفي رواية ذكرها ابن كثير زاد في آخرها قال واثلة رضي الله عنه: «فقلت: وأنا يا رسول الله ﷺ! ـ صلى الله عليك ـ من أهلك؟ قال ﷺ: (**وأنت من أهلي**). قال واثلة رضي الله عنه: **وإنها من أرجى ما أرتجي**»[1].

ولا شك أن في رواية هؤلاء الصحابة وغيرهم هذه الأحاديث في فضائل علي هي من أقوى الأدلة على محبتهم له وإقرارهم بفضله رضي الله عنه وعنهم، وحشرنا في زمرته وزمرتهم تحت لواء النبيِّ ﷺ.

وقد نقل الطوسي والصدوق: أن عمر رضي الله عنه لم يكن يرتضي من أحد أن يطعن في علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأنه رضي الله عنه كان يرى في إيذاء عليٍّ إيذاءً للنبيِّ ﷺ، فقد «**وقع رجل في عليّ عليه السلام بمحضر من عمر، فقال: تعرف صاحب هذا القبر؟ ـ يعني: النبي ﷺ ـ لا تذكر علياً إلا بخير، فإنك إن آذيته آذيت هذا في قبره**»[2].

وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ وهو محتضن الحسن ويقول: (**إن ابني هذا سيِّدٌ، ولعلَّ الله أن يصلح على يديه بين**

---

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: ٣/ ٤٩٢. دار المعرفة ـ بيروت ١٤١٢هـ.

(٢) الصدوق: الأمالي، ص٣٢٤، الطوسي: الأمالي٢/ ٤٦، ابن شهرآشوب: مناقب الإمام علي: ٢/ ١٥٤، ط: الهند.

فئتين من المسلمين)[١]. وقد كان ما بشّر به النبي ﷺ، حين اصطلح الحسن مع معاوية ﷺ، فحقّنا دماء المسلمين في عام الجماعة.

وقد مشى التابعون ومن بعدهم على خُطا الصحابة الكرام ﷺ في إكرام آل بيت النبي ﷺ، فقد «أتى عبد الله بن حسن بن حسين عمرَ بن عبد العزيز في حاجة فقال له: إذا كانت لك حاجة فأرسل أو اكتب بها إليَّ، فإني أستحيي من الله أن يراك على بابي.. ودخلت فاطمة بنت علي على عمر بن عبد العزيز، وهو أمير المدينة، فبالغ في إكرامها، وقال: والله! ما على ظهر الأرض أهل بيت أحب إليَّ منكم، ولأنتم أحبّ إليَّ من أهلي»[٢].

وقد ذكر ابن مطهر الحلي أن علماء أهل السنَّة استفادوا من علوم أئمة أهل البيت، قال: «علي الرضا أزهد أهل زمانه وأعلمهم، وأخذ عنه فقهاء الجمهور كثيراً، وتولّاه المأمون لعلمه بما هو عليه من الكمال والفضل»[٣].

---

(١) صحيح البخاري: كتاب: الفتن: باب: قول النبي ﷺ للحسن بن علي ﷺ: «إن ابني هذا سيد»، رقم ٢٥٥٧.

(٢) ابن حجر الهيتمي: الصواعق المحرقة: ٢/ ٦٨١، ٦٨٢. باب: إكرام الصحابة ومَنْ بعدهم لأهل البيت.

(٣) ابن مطهر الحلي: منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ص٦٠ وهو من علماء الشيعة الاثني عشرية.

وسنرى أن محبة آل بيت النبي ﷺ ستبقى ماثلة في ضمير الأمة في كلِّ العصور، حلوها ومرّها، وأن أحداث الفتن التاريخية وحكم المستبدين لم يغير شيئاً من عقيدة الأمة في احترام آل بيت نبيِّها ﷺ.

هل أثَّرت الفتن السياسية في موقف الصحابة والتابعين والأمة من آل بيت النبي ﷺ؟

تأخذنا دهشة عظيمة وغصة شديدة عندما نقرأ تلك الأحداث الأليمة التي حدثت في زمن الصحابة الكرام؛ أحداث الجمل وصفِّين، وما جرى بعدها من احتراب بين عليٍّ ومعاوية ﷺ.

وإذا أردنا أن نصحو من دهشتنا فعلينا أن نذكر أن الصحابة لم يكونوا معصومين، وأن الفتن السياسية إذا وقعت جرّت أرجل أهلها إلى حيث لا يريدون، وإلى ما لم يكونوا يتوقعون.

ويدلنا على ذلك ما ورد من ندم السيدة عائشة على خروجها إلى العراق قبيل حادثة الجمل، وقولها بعد وقوعها: «**لأَنْ لا أكون شهدتُ ذلك اليوم أحبّ إليَّ من أن يكون لي من رسول الله ﷺ عشرة أولاد**»[1].

---

(١) الطوسي: الاقتصاد الهادي إلى سبيل الرشاد، ص ٢٢٨ ـ ٢٣١، طبعة قم، مكتبة جامع جهلستون ١٤٠٠هـ، وأخرج قريباً منه ابن أبي شيبة في مصنفه: ٧/ ٥٤٢.

و«قال عليٌّ يوم الجمل: **يا حسن! ليت أباك مات منذ عشرين سنة. فقال له: يا أَبَه! قد كنتُ أنهاك عن هذا. قال: يا بني! إني لم أرَ أن الأمر يبلغ هذا**»[١].

ثم إن الصحابة الكرام علّمونا شرف الخصومة فلم يكفّروا خصومهم، ولم ينكروا محاسنهم وفضائلهم، بل رجَوا لهم الفوز بالجنة، فقد قال عليٌّ رضي الله عنه: «**إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير ممن قال الله**: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر: ٤٧]»[٢].

وهذا معاوية رضي الله عنه في آخر عمره يشهد لعليٍّ بالفضل، بعد أن خمدت نار السياسة التي فرّقت بينهما. فقد ثبت عند أهل السنّة والشيعة أن معاوية رضي الله عنه طلب من ضرار الصدائي ـ أحد أصحاب علي رضي الله عنه ـ أن يصِفَه ويذكر له شيئاً من فضائله، قال معاوية: «**صف لي علياً يا ضرار! فقال: اعفني يا أمير المؤمنين. فقال: لا بد. فقال: أما إذ ولابد من وصفه: فكان والله! شديد القوى، بعيد المدى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتفجّر العلم من جوانبه**

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية: ٧/ ٢٤١، مصنف ابن أبي شيبة: ٧/ ٥٤٤، الذهبي: تاريخ الإسلام: ١/ ٤٥٥.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة: ٧/ ٥٣٥.

... فبكى معاوية وقال: رحم الله أبا الحسن! كان والله! كذلك»[١].

وقال معاوية يردّ على نكِرة يسمّى «محفن بن أبي محفن الضبّي حينما اتهم علياً بالبخل والجبن والعيّ فيقول: **أعلي كان أبخل الناس؟ والله! لو كان لعليٍّ بيت من تبن وبيت ومن تبر لأنفق تبره قبل تبنه، أعليٌّ كان أجبن الناس؟ وهل وقف في الحروب دون رسول الله ﷺ غير علي؟ أعلي كان أعيى الناس؟ وهل سنّ الفصاحة لقريش إلا علي؟!»**[٢].

وفي رواية أن محفناً هذا أراد أن يركب الموجة، فقال في حق علي: «ما رأيت ألأمَ منه». فردّ عليه معاوية قائلاً: **«ما ولدَتْ أمُّ محفن ألأمُ»**[٣].

إن الصحابة الكرام لم يكونوا معصومين، ولأجل ذلك أمرنا

---

(١) محمد صالح المازندراني: شرح أصول الكافي: ١١/ ٢٧٤، ابن المطهر الحلي: منهاج الكرامة، ص١٦٠، جعفر كاشف الغطاء: كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء: ١/ ١٦. طبعة انتشارات مهدوي ـ أصفهان، ولكنه أثبت في النص لعن معاوية رضي الله عنه مع أن معاوية ترحّم على صاحبه علي رضي الله عنه!!.

(٢) إبراهيم موسى الزنجاني: عقائد الإمامية الاثنى عشرية، ص١١٠.

(٣) ابن عساكر: تاريخ دمشق: ٥٧/ ٩٩.

الغفور الرحيم أن نستغفر لهم، فقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر: ١٠].

ونقول لمن يتخذ من تلك الأحداث مغمزاً في الصحابة الكرام جميعاً: إن الصحابة الكرام اختلفوا وهم في القمة الشامخة، أما نحن اليوم فنختلف على آثار اختلافهم ونحن في القاع[١].

إن كلا الفريقين منهم قد أقام الشريعة في نطاق حكمه، حكّم شرع الله، فأمر بالصلاة والصيام، ونهى عن الفواحش والآثام، ونشر دين الله في الآفاق، وفتح الفتوح، وقارع أعداء الدين ودحض شوكة المشركين. واسأل التاريخ عن خلافة علي الراشدة، وعن الفتوح في زمن معاوية ﭬ.

ولم يخطر ببال أحد منهم أن يستعين على خصومه بأعداء الأمة، كما فعل ساسة المسلمين بعد توالي القرون في الأندلس، وفي عهد حروب الفرنج، وفي مآسي العصر الحديث، حتى

---

(١) في الخلافات السياسية في زمن الصحابة، يراجع: البداية والنهاية، لابن كثير، العواصم من القواصم في تحقيق موقف الصحابة بعد وفاة النبي، لابن العربي المالكي، منهاج السنَّة، لابن تيمية.

ضاعت البلاد وسفكت دماء العباد، فاغتُصِبت فلسطين، وأُسِر العراق، واستبيح الصومال . .

فإذا كانت النظرة الفاحصة تقول: إن عليّاً ﷺ كان أولى بالحق من معاوية، فإن التاريخ يسجّل لمعاوية مأثرة ستبقى درساً لكلِّ الساسة على مرّ الدهور.

فقد حدّثنا التاريخ قائلاً: «فلما رأى ملكُ الروم اشتغال معاوية بحرب عليٍّ تدانى إلى بعض البلاد في جنود عظيمة، وطمع فيه، فكتب معاوية إليه: **والله! لئن لم تنتهِ وترجع إلى بلادك يا لعينُ لأصطلحن أنا وابن عمّي عليك، ولأخرجنك من جميع بلادك، ولأضيقن عليك الأرض بما رحُبت.** فعند ذلك خاف ملك الروم وانكفّ، وبعث يطلب الهدنة»[١].

ثم نطرح بين يدي القارئ سؤالاً مهماً: كم عدد الصحابة الذين اشتركوا في حرب الفتنة بين الصحابة في زمن علي ﷺ؟

يُجيبنا التاريخ قائلاً:

«هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ عشرات الألوف، فلم يحضرها منهم إلا فئة، بل لم يبلغوا ثلاثين»[٢].

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية: ٨/ ١١٩، دارالمعارف ـ بيروت.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية: ٧/ ٢٦٤، دار الفكر ـ بيروت ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨م.

فكثير من الصحابة الكرام اعتزلوا الفتنة ولم يقعوا فيها، ومن مشاهير أهل هذا الموقف ابن عمر، وسعد بن أبي وقاص، وأبو موسى الأشعري، قال أبو موسى الأشعري عندما دُعي للقتال قبيل الجمل: «إن الفتنة إذا أقبلت شبّهت وإذا أدبرت تبيّنت» ثم أمر الناس بكفّ أيديهم[١].

وعُذْرهم في الاعتزال واضح: عدم وضوح المحقّ من المبطِل لديهم، والتورُّع عن دماء المسلمين، وعذر من اشترك فيها وضوح الرؤية لنصرة المحقّ على المبطل.

ولذلك رأينا ابن عمر «وكان لورعه قد أشكلت عليه حروب علي رضي الله عنه وقعد عنه، وندم على ذلك حين حضرته الوفاة»[٢] (ت٧٣ هـ) فقال: «ما آسى على شيء إلا أني لم أقاتل مع علي رضي الله عنه الفئة الباغية»[٣]. وذلك أن ما آلت إليه الأحداث

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية: ٧/ ٢٤٧.

(٢) ابن عبد البر: الاستيعاب: ٣/ ٩٥١، دار الجيل ـ بيروت ١٤١٢ هـ، تحقيق: علي محمد بجاوي.

(٣) ابن عبد البر: الاستيعاب: ٣/ ٩٥٣. وانظر: الأخلاق السياسية للدولة الإسلامية في القرآن والسنّة، محمد زكريا النداف، ص٤٢٦، ٤٢٧، دار القلم دمشق١٤٢٧ هـ = ٢٠٠٦م.

وضّحت له أن الحق مع علي، وأن الفئة الباغية فئة معاوية غفر الله له.

ولكن موقف اعتزال الفتنة لم يمنع كثيراً من الصحابة من مبادرة الفريقين بالنصح والإرشاد، وطلب الصلح وإصلاح ذات البين.

فقد «خرج أبو الدرداء وأبو أمامة فدخلا على معاوية رضي الله عنه، فقالا له: يا معاوية! علام تقاتل هذا الرجل؟ . . . فقال: أقاتله على دم عثمان، وأنه آوى قتَلَته، فاذهبا إليه فقولا له: ليُقدْنِ من قتلة عثمان، ثم أنا أول من بايعه من أهل الشام.

فذهبا إلى عليّ فقالا له ذلك. فقال رضي الله عنه: هؤلاء الذين تريان، فخرج خلقٌ كثير فقالوا: كلّنا قتلة عثمان، فمن شاء فليرمنا. . . فقال علي: تأوَّل القوم عليه القرآن في فتنة، ووقعت الفرقة لأجلها، وقتلوه في سلطانه، وليس لي عليهم سبيل»[1].

فقال معاوية: «إن كان الأمر على ما يقول، فما له أنفذ الأمر دوننا من غير مشورة منّا ولا ممن هاهنا؟

فرجعوا إلى عليٍّ فقال علي: إنما الناس مع المهاجرين والأنصار . . . فرجعوا إليهم.

(١) ابن كثير: البداية والنهاية: ٧/ ٢٧٠.

فقال: فما بال من ههنا من المهاجرين والأنصار لم يدخلوا في هذا الأمر؟

فرجعوا، فقال علي: إنما هذا للبدريين دون غيرهم، وليس على وجه الأرض بدري إلا وهو معي، وقد بايعني ورضي». فرجع أبو الدرداء وأبو أمامة ﷺ فلم يشهدا لهم حرباً[١].

وقد روى صاحب (نهج البلاغة) قريباً من هذا النص، ومما جاء فيه: «**إنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسمَّوه إماماً كان ذلك لله رضا، فإن خرج منهم خارج بطعن أو بدعة ردوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولىَّ**»[٢].

عليٌّ وجُلّ الصحابة الكرام يرفضون الشتم والسبّ:

وإذا كانت أحداث الفتن المتطاولة قد جعلت بعض الناس ينزلقون في شتم مخالفيهم لمواقفهم السياسية المعارضة لهم. فإن موقف أمة الإسلام ممثلة بصحابة النبي ﷺ وصالحي التابعين يخالف هذا الاتجاه المشين.

---

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) نهج البلاغة: ٣/ ٧، ط بيروت، تحقيق: محمد عبده، وص٣٦٧ تحقيق: د.صبحي الصالح.

وموقف الأمة هو موقف علي رضي الله عنه نفسه الذي علّمها فقه الفتن وطريقة التعامل مع البغاة، حيث بلغه سبُّ بعض أتباعه جُندَ معسكر خصمه، فقال: «**إنّي أكره لكم أن تكونوا سبّابين،** ولكنّكم لو وصفتم أعمالهم، وذكرتم حالهم، كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبّكم إياهم: (اللّهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، واهدهم عن ضلالتهم، حتى يعرف الحق من جهله، ويرعوي عن الغيِّ والعدوان من لهَج به»[1].

وهذا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يعتزل الفتنة، ويرفض سبَّ أمير المؤمنين علي رضي الله عنه.

عن عامر بن سعد قال: كان سعد بن أبي وقاص في إبله، فجاءه ابنه عمر، **فلما رآه سعد قال: أعوذ بالله من شر هذا الراكب**[2]. **فنزل فقال له: أنزلت في إبلك وغنمك وتركت**

---

(١) نهج البلاغة: ص٢٤٧ نسخة بشرح الشيخ محمد عبده، مكتبة مصر.
يرعوي: ينزع ويرجع عن وجه الخطأ، ولهج به: أولع به.

(٢) وقد كان تعوُّذ سعد في مكانه، فابنه عمر بن سعد سيكون في الغد أحد الوالغين في دم الحسين رضي الله عنه بسبب مطمعه في ملك الري، وهو القائل (كما في منهاج السنّة النبوية: ٢/ ١٠):

فو الله ما أدري وإني لصادق — أفكّر في أمري على خطرين

الناس يتنازعون المُلك بينهم؟ فضرب سعد في صدره فقال: اسكت، سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي)[(١)].

فلم يكن لسعد مطمح في الخلافة، وإن كان أهلاً لها. ثم رفض أن ينحاز لأحد الأطراف، أو أن يسبّ علياً أمير المؤمنين.

عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: أمر معاويةُ بن أبي سفيان سعداً فقال: ما منعك أن تسبَّ أبا التراب؟ فقال: أما ما ذكرتُ ثلاثاً قالهن له رسول الله ﷺ فلن أسبّه، لأن تكون لي واحدة منهن أحب إليّ من حمُر النَّعم. سمعت رسول الله ﷺ يقول له وقد خلّفه في بعض مغازيه، فقال له علي: يا رسول الله ﷺ! خلفتني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله ﷺ: (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبوَّة بعدي)، وسمعته يقول يوم خيبر: (لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله). قال: فتطاولنا لها فقال: (ادعوا لي علياً). فأُتي به أرمد، فبصق في عينه ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه، ولما نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾

= أأترك ملك الري والري منيتي — أم أصبح مأثوماً بقتل حسين
وفي قتله النار التي ليس دونها — حجاب وملك الري قرة عيني

(١) صحيح مسلم: ٤/ ٢٢٧٧، كتاب: الزهد رقم ٢٩٦٥.

[آل عِمرَان: ٦١] دعا رسول الله ﷺ عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: **(اللهم هؤلاء أهلي)**[١].

فنلاحظ من هذا الحديث أن هذا الصحابي الجليل رفض دعوة معاوية لشتم علي، ونحن نرى هذه الدعوة خطأً جسيماً؛ لما رواه ابن عباس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: **(يا علي من سبَّك فقد سبَّني، ومن سبّني فقد سبّ الله، ومن سبّ الله أكبه على منخريه في النار)**[٢].

غير أن اعترافنا بخطأ هذا الفعل لا يجعلنا نلعن أو نكفّر من فعلَه من الصحابة على قلّتهم ـ كمعاوية ـ حتى لا نقع فيما ننهى عنه، بل نستغفر لهم كما أوصانا القرآن الكريم: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ۝١٠﴾ [الحَشر: ١٠].

فكما أن شتم علي رضي الله عنه حرام؛ فكذلك شتم باقي الصحابة

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في كتاب: فضائل أصحاب النبي، باب: مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، رقم ٣٧٠٦، وأخرجه مسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضائل علي رضي الله عنه، رقم ٢٤٠٤.

(٢) مسند أحمد: ٦/ ٣٢٣، الحديث ٢٦٢٠٨ بسنده عن أم سلمة مختصراً، والمستدرك للحاكم: ٣/ ١٢١، واستدل به ابن مطهر الحلي: منهاج الكرامة، ص٩٨.

الكرام، «وفي الحديث الصحيح: (**لا تسبّوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده!لو أن أحدكم أنفق مثل أُحد ذهباً ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نَصِيفه**)[١].

وقال ﷺ في حديث رجاله ثقات: (**اللهَ الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرَضاً بعدي، فمن أحبَّهم فبحُبِّي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضَهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه**)[٢].

وقد تكرر رفض الصحابة الكرام شتمَ علي، فهذا سهل بن

---

(١) أخرجه البخاري، باب: مناقب المهاجرين وفضلهم، ومسلم، باب: تحريم سب الصحابة، وأخرجه الترمذي ٥/ ٣٥٨ رقم (٣٩٥٢)، أبواب المناقب عن رسول الله، وأبو داود، رقم (٤٦٥٨)، وابن ماجه، باب: في فضائل أصحاب رسول الله، وأحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري ٣/ ١١.

(٢) أخرجه الترمذي: كتاب: المناقب، باب: رقم٥٩، بلا تسمية، بعد باب: فضل من بايع تحت الشجرة، رقم٣٨٦٢، وقال حديث غريب. ويشهد له الحديث السابق في الصحيحين. وانظر: ابن حجر الهيتمي: الصواعق المحرقة: ١/ ١٣٤. وقد كان هذا الشتم في أحداث الفتنة سلاحاً يستخدمه المتقاتلون لنصرة معسكرهم، وهو بمثابة الحرب الإعلامية اليوم، وكان علي ﷺ يواجهها بالدعاء عليهم، لا بشتمهم، ونحن ندع الصحابة الكرام وما فعلوه فيما بينهم، ونستغفر لهم.

سعد رضي الله عنه يرفض شتم علي، ويستعصي على محاولة الأمير الأموي الذي أراد أن يحتال عليه ليشتم علياً بأحب ألقابه إليه:

عن أبي حازم عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: «استُعمل على المدينة رجلٌ من آل مروان، قال: فدعا سهل بن سعد فأمره أن يشتم عليّاً قال: فأبى سهل، فقال له: أما إذا أبيت فقل: لعن الله أبا التراب! فقال سهل: ما كان لعليٍّ اسمٌ أحب إليه من (أبي التراب)، وإن كان ليفرح إذا دُعي بها. فقال له: أخبرنا عن قصته، لِمَ سمي أبا تراب؟ قال: جاء رسول الله ﷺ بيتَ فاطمة، فلم يجد علياً في البيت، فقال: (**أين ابن عمك؟**) فقالت: كان بيني وبينه شيء، فغاضبني فلم يَقِل عندي، فقال رسول الله ﷺ لإنسان: (انظر أين هو؟)، فجاء فقال: يا رسول الله ﷺ! هو في المسجد راقد، فجاءه رسول الله ﷺ وهو مضطجع قد سقط رداؤه عن شقه، فأصابه ترابٌ، فجعل رسول الله ﷺ يمسحه عنه ويقول: (**قم أبا التراب!، قم أبا التراب!**)»[١].

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في كتاب: الصلاة، باب: نوم الرجال في المسجد، رقم٤٤١، وفي فضائل أصحاب النبي، باب: مناقب علي، ٣٧٠٣، وفي باب: الأدب، باب: التكني بأبي تراب رقم ٦٢٠٤، وأخرجه مسلم في كتاب: فضائل الصحابة، رقم٢٤٠٩.

وقال أحدهم للصحابي سفينة[١] رضي الله عنه: «إن هؤلاء يزعمون أن علياً لم يكن بخليفة. قال: كذبَت أستاه بني الزرقاء، يعني بني مروان»[٢].

وقال الخليفة الأموي الراشد عمر بن عبد العزيز رحمه الله في حق الإمام علي رضي الله عنه:

«ما علمنا أن أحداً من هذه الأمة بعد رسول الله ﷺ أزهد من علي بن أبي طالب، ما وضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة»[٣].

---

(١) سفينة مولى رسول الله قيل: كان اسمه مهران، وقيل: غير ذلك، أصله من فارس فاشترته أم سلمة ثم أعتقته، واشترطت عليه أن يخدم النبي ﷺ، وقد روى عن النبي ﷺ وعن أم سلمة وعلي. وعن سبب تسميته بسفينة يقول: «كنت مع النبي في سفر، فكان بعض القوم إذا أعيى ألقى علَيَّ ثوبه حتى حملت من ذلك شيئاً كثيراً فقال: (ما أنت إلا سفينة)». وكان يسكن بطن نخلة. (ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة: ٣/ ١٣٢)، وتوفي سفينة في زمن الحجاج (ابن عبد البر: الاستيعاب: ١/ ٢٠٧).

(٢) سنن أبي داود، كتاب: السنة، باب: في الخلفاء، رقم ٤٦٤٦. وأستاه: جمع است، وهي مقعدة الإنسان.

(٣) إبراهيم موسى الزنجاني: عقائد الإمامية الاثنى عشرية، ص١٠٩.

وقال الشافعي: «ما أقول في رجل أخفت أعداؤه فضائله حسداً، وأخفت أولياؤه فضائله خوفاً، وقد شاع من بين ذَيْن ما ملأ الخافقين»[1].

«والمنصوص عن أحمد وأئمة السلف أنه لا يُذَم أحد منهم [أي الصحابة الكرام]، وأن علياً أولى بالحق من غيره»[2].

موقف الصحابة الكرام ﭫ من المظالم التي وقعت من حكّام المسلمين:

لقد وقع في التاريخ ما وقع من فتن ومظالم، وليس محل البحث الآن رصد تلك الأحداث التاريخية والتمحيص فيها للوصول إلى الحق، وطريقه البعد عن نظرة المنكرين لمظالم التاريخ عموماً أو الميّالين لتبريرها، وعن نظرة المبالغين والمتزيّدين؛ ممن أخذتهم العواطف الجيّاشة تجاه أهل البيت بعيداً عن المنطق والتحقيق التاريخي.

ولكن محل البحث بيان حقيقة مهمة، وهي: إذا كان الشيعة يكرهون الحكّام والسلاطين المسلمين لما وقع منهم من مظالم لأهل البيت، ويسوقون خلفاء المسلمين سوقاً واحداً، فإن

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) منهاج السنّة: ١/ ٥٣٨.

صحابة النبي ﷺ والتابعين لهم بإحسان كانوا على كراهة ظلم الناس كافة، ولذلك كانوا ينصحون حكّامهم وأمراءهم، بل ويغلظون لهم ويتوعّدونهم أحياناً بسبب مظالمهم.

فكيف إذن يضع من يدّعي محبّة علي وآل بيته صحابةَ النبي ﷺ والتابعين والأمةَ المسلمة كلها مع السلاطين في منـزلة واحدة وكفّة واحدة، مع أن الصحب الكرام ومن جاء بعدهم لم يرتضوا فِعال أولئك الظالمين؟ بل كانوا مثل آل البيت وغيرهم مجبرين على هؤلاء الحكّام؟وسنرى أمثلة واضحة لتذمُّر بعض الصحابة من حكم الأمويين ونصحهم أو توعدهم:

فهذا أبو هريرة رضي الله عنه يصدع بالحق في بيت مروان بن الحكم، ولا تأخذه في الحق لومة لائم: قال أبو زرعة: «دخلت مع أبي هريرة في دار مروان، فرأى فيها تصاوير» فما كان من أبي هريرة إلا أن ينصح مروان ويصدع بالحق، ويحدّث ـ وهو موسوعة الحديث ـ عن النبي ﷺ حديثاً يبيّن فيه حرمة اتخاذ التصاوير، وهو قول النبي ﷺ: «.. **.يقول الله عزَّ وجلَّ: ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقاً كخلقي؟ فيلخلقوا ذرة، ولْيخلقوا حبة، ولْيخلقوا شعيرة**»[1].

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري، باب: نقض الصور رقم (٥٩٥١)،

وهذا زيد بن أرقم ﷺ يتحدى ابن زياد؛ حيث قال: بعث إليّ عبيد الله بن زياد فأتيته فقال: ما أحاديث تحدّثها وترويها عن رسول الله ﷺ لا نجدها في كتاب الله؟ تحدّث أن له حوضاً في الجنة؟ قال: قد حدثنا رسول الله ﷺ ووعيناه. قال: كذبت ولكنك شيخ قد خرفت. قال: إني قد سمعته أذناي ووعاه قلبي من رسول الله ﷺ يقول: (**من كذب عليَّ متعمداً فليتبوَّأ مقعده من جهنم**) وما كذبت على رسول الله ﷺ، وحدَّث زيد في مجلسه حديثاً نبوياً يتوعَّد فيه ابن زياد ونصُّه: (**إن الرجل من أهل النار ليعظم للنار حتى يكون الضرس من أضراسه كأُحد**)[1].

وبقدر ما يثبت هذا الحديث لنا رسوخ قدم الصحابة الكرام في الحق، ووقوفهم بالحجة أمام الطغيان، فإنه يجعلنا ندرك ما كان عليه عبيد الله بن زياد هذا من قسوة وتجبُّر؛ لدرجة أن يستخف بالصحابة ويشتمهم، ويدخِل نفسه في أمور الشرع، فيريد أن يبدله ـ شأن جميع المستبدين ـ فيمنع من الأحاديث ما يريد ويسمح منها ما يريد، إن مثل هذا الشخص جدير بأن يكون

= ومسلم في كتاب: الألبسة، باب: في تحريم صور الحيوان رقم ٢١٠٨. ترقيم دار القلم ـ دمشق.

(١) مسند الإمام أحمد: ٤/ ٣٦٧.

صاحب الجريمة والجريرة الكبرى، وهي سفك دم ابن بنت رسول الله ﷺ الحسين بن علي رضي الله عنهما.

ولم يكن موقف زيد بن أرقم فريداً وحيداً أمام ابن زياد، فهذا معقل بن يسار وعائذ بن عمرو يتخذان الموقف ذاته منه:

فهذا معقل بن يسار المزني رضي الله عنه يتوعد ابن زياد؛ عن قتادة عن أبي المليح أن عبيد الله بن زياد دخل على معقل بن يسار في مرضه، فقال له معقل: إني محدِّثك بحديث لولا أني في الموت لم أحدّثك به، سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**ما من أمير يلي أمر المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح إلا لم يدخل معهم الجنة**). وفي رواية أخرى قال ابن زياد: «ألا كنت حدثتني هذا قبل اليوم؟ قال: ما حدَّثتك أو لم أكن لأحدِّثك»[١].

وهذا عائذ بن عمرو يزجر عبيد الله بن زياد ويشير إلى قسوته وبطشه، فقد دخل عليه فقال: «أي بُني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**إن شر الرِّعاء الحُطَمة فإياك أن تكون منهم**) فقال له: اجلس، فإنما أنت من نُخالة أصحاب محمد

(١) صحيح مسلم: كتاب: الإيمان، باب: استحاق الوالي الغاش لرعيته النار، رقم ١٤٢.

ﷺ. فقال: وهل كانت لهم نخالة؟ إنما كانت النخالة بعدهم وفي غيرهم»[(١)].

ومن أحاديث هؤلاء الصحابة الثلاثة زيد ومعقل وعائذ رضي الله عنه تظهر قسوة ابن زياد وبطشه؛ لدرجة أن معقل لم يذكر له الحديث إلا على فراش الموت، كما تظهر وقاحة ابن زياد عندما نسب عائذاً رضي الله عنه إلى نخالة أصحاب النبي ﷺ مستهزئاً به، وقد كان عائذ من الصحابة الكرام رضي الله عنهم، إلا أن قسوة ابن زياد ووقاحته لم تمنعهم رضي الله عنهم من الإنكار عليه وتوعده.

وقد روت كتب السنّة إنكار الصحابة على عبيد الله بن زياد قتل الحسين رضي الله عنه، فقد ورد أن زيد بن أرقم رضي الله عنه رأى ابن زياد يعبث بقضيب في يده بفم الحسين رضي الله عنه فقال له زاجراً: «ارفع قضيبك، فوالله! لطالما رأيت رسول الله ﷺ يقبّل ما بين هاتين الشفتين. ثم جعل زيد يبكي، فقال ابن زياد: أبكى الله عينيك، لولا أنك شيخ قد خرفت لضربت عنقك، فنهض وهو يقول: أيها الناس! أنتم العبيد بعد اليوم قتلتم ابن فاطمة، وأمّرتم ابن مرجانة

---

(١) صحيح مسلم: كتاب: الإمارة، باب: فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، رقم ١٨٣٠، ومسند أحمد: ٥/ ٦٤، رقم ٢٠٦٥٦.

[يعني ابن زياد]، والله! ليقتلن خياركم ويستعبدن شراركم، فبعداً لمن رضي بالذلة والعار.

ثم قال: يا ابن زياد! لأحدثنك بما هو أغيظ عليك من هذا: رأيت رسول الله ﷺ أقعد حسناً على فخذه اليمنى وحسيناً على فخذه اليسرى، ثم وضع يده على يافوخهما ثم قال: (**اللهمَّ إني أستودعك إياهما وصالح المؤمنين**) فكيف كانت وديعة النبي ﷺ عندك يا ابن زياد؟»(١).

وهكذا يتضح من هذه النصوص حُزن الصحابة على مقتل الحسين، وغضبهم وسخطهم على قاتله، واستنهاضهم الهمم على الخروج عليه، رغم بطشه الشديد، ثم فرح الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم بما فعل الله المنتقم بابن زياد من عقاب وبطش، حتى خرّجوا تفصيل ذلك في بعض كتبهم الحديثية، كما سنرى.

وكذلك لم يكن الصحابة والتابعون ومَنْ بعدهم يرضون بمظالم الولاة، ولا يستمعون إلى آرائهم، مع قوة سطوة هؤلاء، وشدة بطشهم، ففي صحيح مسلم: «عن الأعمش قال: سمعت الحجاج بن يوسف يقول وهو يخطب على المنبر: ألِّفوا القرآن

---

(١) ابن حجر الهيتمي: الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة: ٢/ ٥٧٨.

كما ألَّفه جبريل، السورة التي يذكر فيها البقرة، والسورة التي يذكر فيها النساء، والسورة التي يذكر فيها آل عمران»!. وكأن هذا يعني كراهته لتسمية السورة بسورة البقرة، وكذلك النساء، وكذلك آل عمران. قال الأعمش: «فلقيت إبراهيم فأخبرته بقوله، فسبَّه، ثم روى رواية عن ابن مسعود أنه كان يسميها بسورة البقرة «فقال: هذا، والذي لا إلٰه غيره، مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة»[1]. وواضح أن الخطأ في رأي لا يستدعي السب من قِبل هذا الراوي، ولكنه يدل على ما حمل هذا الرجل في قلبه على مظالم الحجاج؛ «لأنه تذكَّره بقضية أفعاله الخبيثة»[2].

والحجاج كان من أهل اللغة، وقد خالف قراءة أهل السنّة والجماعة في بعض لهجات القرآن، فما تمسكت الأمة بقراءته، فقد ذكر ابن أبي داود في كتابه المصاحف: غيّر الحجاج أحد عشر حرفاً، منها: «(لم يتسنّ) عنده مكان: ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾، ومنها (شريعة ومنهاجاً) مكان: ﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[3]. ولم يسر المسلمون في ذلك على هواه.

---

(١) صحيح مسلم: كتاب: الحج، باب: رمي جمرة العقبة، رقم ١٢٩٦.

(٢) العثماني: فتح الملهم: ٦/ ١٦١.

(٣) انظر: كتاب المصاحف، لابن أبي داود، ص١٣٠، باب: ما غير الحجاج في مصحف عثمان.

موقف أهل المدينة من حُكم يزيد:

والتاريخ يذكر لنا موقف أهل المدينة من حكم الأمويين، حتى خرجوا عليهم، فـ «أهل المدينة لم يكونوا مائلين إلى بني أمية كما كان أهل الشام، بل قد خلعوا بيعة يزيد، وحاربهم عام الحرة، وجرى بالمدينة ما جرى»(١) من قتل وسلبٍ ونهب.

وقد ذكرت لنا كُتب الحديث: أن جابر بن عبد الله رضي الله عنه كان له شيء من المال الذي أعطاه إياه النبي ﷺ في حديث الجمل المشهور في الصحيحين، وأن هذا المال الذي خبّأه جابر نهبه جُند الشام يوم الحرة!! ولم يكن جابر على مذهب الشيعة، وناله ما نال غيره من أهل المدينة الذين قاوموا الحكم الأموي. قال جابر: «...فأعطاني ﷺ أوقية من ذهب، وزادني قيراطاً، قال: فقلت: لا تفارقني زيادة رسول الله ﷺ. قال: فكان في كيس لي، فأخذه أهل الشام يوم الحرّة»(٢).

إن الحكم المستبد الذي عُرف في ذلك الزمن لم يكن يفرّق بين الخارجين على السلطان، سواء أكانوا من آل البيت أم من

---

(١) ابن تيمية: منهاج السنّة النبوية: ٢/ ٨٥.

(٢) صحيح مسلم: كتاب: المساقاة، باب: بيع البعير واستثناء ركوبه، رقم ٤٠٧٧، ترقيم طبعة دار المعرفة لبنان، ١٤١٥ هـ، ط٢.

غيرهم، أم من البيت الأموي نفسه، وهي سكرة السلطان والحكم والمنصب، وقد عبّر عنها أحد هؤلاء السلاطين أو الملوك من بني أمية في خطبته، فقد حجَّ عبد الملك بن مروان سنة خمس وسبعين بعد مقتل ابن الزبير بعامين فخطب وقال: «أيها الناس! إنما نحتمل لكم كل اللغوبة ما لم يكن عقد راية أو وثوب على منبر؛ هذا عمرو بن سعيد حقُّه حقُّه وقرابته قرابته، قال رأسه هكذا، فقلنا بسيفنا هكذا»[1].

مصير ابن الزبير وابن علي واحد:

وقد خرج الصحابي ابن الصحابي عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما على حكم الأمويين، وتوسعت دائرة حكمه، حتى عدّه السيوطي من الخلفاء، وأقام العدل في نطاق سلطانه في الحجاز واليمن، حتى زحفت إليه جيوش الأمويين، وقتله الحجاج في الحرم، ثم صلبه!

عن أبي نوفل: «رأيت عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما على عقبة

---

(١) ابن عساكر: مختصر تاريخ دمشق: ١/ ٢٠٨٦. وعمرو بن سعيد الأشدق من بني أمية، وهو عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية، كان نائباً على المدينة من عهد معاوية، قتله عبد الملك بن مروان سنة تسع وستين وقيل سبعين. (البداية والنهاية: ٦/ ٢٣٤).

المدينة قال: فجعلت قريش تمرُّ عليه والناس، حتى مرَّ عليه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فوقف عليه فقال:

السلام عليك أبا خبيب! السلام عليك أبا خبيب! السلام عليك أبا خبيب! أما والله! لقد كنت أنهاك عن هذا، أما والله! لقد كنت أنهاك عن هذا! أما والله! لقد كنت أنهاك عن هذا![1].

أما والله! إن كنتَ ما علمتُ صوّاماً قواماً وصولاً للرحم، أما والله لأمَّةٌ أنت أشرّها لأمَّة خير. ثم نفذ عبد الله بن عمر. فبلغ الحجاج موقف عبد الله وقوله، فأرسل إليه فأنزل عن جذعه، فألقي في قبور اليهود»[2]!.

فانظر إلى تجبّر هؤلاء وقسوتهم في التعامل مع كل من نافسهم في الملك!.

قال القاضي عياض رحمه الله: «ففيه قول ابن عمر بالحق، وقلة خوفه من الحجاج، فإنه لم تصده سطوته عن الشهادة بما

---

(١) ذلك أن مذهب ابن عمر كان رفض الخروج على السلاطين وإن جاروا، لما يترتب على ذلك من إزهاق للأرواح، وفساد وبطش وتنكيل، وهي مسألة فيها خلاف كبير بين أهل العلم، وقد نهى ابن عمر الحسينَ رضي الله عنه عن الخروج على الأمويين كما نهى ابن الزبير.

(٢) صحيح مسلم: كتاب: فضائل الصحابة، باب: كذاب ثقيف ومبيرها، رقم ٢٥٤٥.

علم فيه ليبين للناس كذب الحجاج وشيعته في وصفهم له بعدو الله والكفر والبخل»[١].

ثم أرسل الحجاج إلى أم عبد الله بن الزبير، أسماء بنت أبي بكر ﵄، «فأبت أن تأتيه، فأعاد عليها الرسول: لتأتيني أو لأبعثن إليك من يسحبك بقرونك، قال: فأبت، وقالت: والله! لا آتيك حتى تبعث إليَّ من يسحبني بقروني!.

قال فقال: أروني سبْتي، فأخذ نعليه، ثم انطلق يتوذّف حتى دخل عليها فقال: كيف رأيتني صنعتُ بعدو الله؟ قالت: رأيتك أفسدت عليه دنياه وأفسد عليك آخرتك. بلغني أنك تقول له: يا ابن ذات النطاقين. أنا والله! ذات النطاقين، أما أحدهما فكنت أرفع به طعام رسول الله ﷺ وطعام أبي بكر من الدواب، وأما الآخر فنطاق المرأة التي لا تستغني عنه، أمَا إن رسول الله ﷺ حدثنا: أن في ثقيف كذاباً ومُبيراً. فأمّا الكذاب فرأيناه، وأما المبير فلا إخالك إلا إياه. قال: فقام عنها ولم يراجعها»[٢].

---

(١) الشيخ تقي الدين العثماني تكملة فتح الملهم: ٥/ ١٦٢، عن المفهم للقاضي عياض: ٦/ ٥٠٣، ٥٠٤.

(٢) صحيح مسلم، كتاب: فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب: ذكر كذّاب ثقيف ومبيرها، رقم ٢٥٤٥. تقصد بالكذاب: المختار الثقفي، والمبير: المهلِك كثير القتل.

ففي هذا الحديث الحزين مفتِّت الأكباد يتوضح موقف ابن الزبير من الأمويين، فلم يبايعهم ولم يرتض حكمهم، وكذلك تتجلى جرأة ابن عمر وأسماء بنت أبي بكر ﷺ.

ويظهر أن ما أصاب المسلمين والصحابة وأبناء الصحابة من الخسف والظلم على يد الحجاج كان شبيهاً بما أصاب آل بيت النبي ﷺ ممثلين بالحسين وآله في كربلاء. فكيف يُساق المسلمون كلهم جميعاً سوقاً واحداً بأنهم أتباع الأمويين وأعداء آل البيت؟!.

والشبه واضح بين الحسين وعبد الله بن الزبير، فكلاهما من فتيان الصحابة، وأبناء الصحابة، فأبواهما من العشرة المبشرين بالجنة، وكلاهما من قريش، ومن قرابة النبي ﷺ، فعبد الله هو ابن الزبير ﷺ حواري النبي ﷺ وابن عمته صفية ﷺ، والحسين هو ابن علي ﷺ ابن عمِّ النبي ﷺ وابن بنته فاطمة الزهراء ﷺ، ولم تشفع لهما القرابة أمام سيف السلطان الغشوم. وحزن أهل السنّة على جريمة قتل الرجلين عظيم.

وقد كان للصحابة موقف من قتَلة الرجلين الكريمين، وفي الدفاع عن عِرضهما بعد وفاتهما:

فقد مرَّ قول زيد بن أرقم ﷺ لما رأى ابن زياد يعبث

بقضيب في يده بفم الحسين ﵁ فقال له زاجراً: «ارفع قضيبك فوالله! لطالما رأيت رسول الله ﷺ يقبّل ما بين هاتين الشفتين»[١].

وعن عبد الرحمن بن يسار قال: سمعت الحجاج وهو يقول: إن عبد الله بن الزبير قد بدَّل كلام الله، فقال ابن عمر: كذبتَ، ليس تبديل كلام الله بيدك ولا بيد ابن الزبير، كتاب الله أعزّ من أن يبدّل. قال: فقال الناس لابن عمر: اخرج ـ خوفاً عليه من بطش الحجاج ـ فأبى أن يخرج حتى صلى معه[٢].

وعن أبي قزعة أن عبد الملك بن مروان بينما هو يطوف بالبيت إذ قال: قاتل الله ابن الزبير حيث يكذب على أم المؤمنين، يقول: سمعتها تقول: قال رسول الله ﷺ: (**يا عائشة! لولا حدثان قومك بالكفر لنقضت البيت حتى أزيد فيه من الحجر فإن قومك قصروا في البناء**). فقال الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة: لا تقل هذا يا أمير المؤمنين! فأنا سمعت أم المؤمنين تحدّث هذا. قال: لو كنت سمعته قبل أن أهدمه لتركتُه على ما

---

(١) ابن حجر الهيتمي: الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة: ٢/ ٥٧٨.

(٢) مختصر تاريخ دمشق: ١/ ١٨٢١.

بني ابن الزبير»[١]. وقد كان هذا الرجل مشهوراً بالصدق كما ورد في إحدى الروايات: «وكان الحارث مصدَّقاً لا يكذب»[٢].

ومن العجب أن الذين ارتضوا خروج الحسين إلى كربلاء لم يرتضوا خروج ابن الزبير، فليس لابن الزبير عندهم إلا الشنآن[٣]!.

صالحو الأمويين يحبّون آل البيت ويتولّونهم:

وإذا وقع من بعض حكّام الأمويين ما وقع؛ فإن صالحي الأمويين كانوا يحبّون آل بيت النبي ﷺ ويمنعون إيذائهم، فقد كان «هشام بن إسماعيل ـ أحد ولاة الوليد بن عبد الملك ـ يؤذي زين العابدين وأهل بيته، وينال من علي، فعزله الوليد وأوقفه للناس، وكان أخوف ما عليه: أهل البيت»[٤].

---

(١) صحيح مسلم: كتاب: الحج، باب: نقض الكعبة وبنائها، رقم ١٣٣٣.

(٢) ابن حجر: فتح الباري: ٣/٤٤٦.

(٣) قال محقق أصول الكافي عن ابن الزبير: «هو عبد الله، وكان من الشانئين لأهل البيت، وفتنه دعاء الناس إلى نفسه بعد استشهاد الحسين» أصول الكافي: ٢/ ٧٠: هامش حاشية رقم ٥ أثناء شرحه لحديث ورد فيه لفظ: «مما نتخوف من فتنة ابن الزبير».

(٤) ابن حجر الهيتمي: الصواعق المحرقة: ٢/ ٦٨٣. باب: إكرام الصحابة ومن بعدهم لأهل البيت.

وهذا عمر بن عبد العزيز يقتدي بسيرة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، فيسأل عن سنّة علي رضي الله عنه في الصدقات والأوقاف، وهذا ما أثبتته هذه الرواية عند الاثني عشرية:

قال الإمام الصادق، جعفر بن محمد:

إِنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ كَتَبَ إِلَى ابْنِ حَزْمٍ[1] أَنْ يُرْسِلَ إِلَيْهِ بِصَدَقَةِ عَلِيٍّ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ[2] وَإِنَّ ابْنَ حَزْمٍ بَعَثَ إِلَى زَيْدِ بْنِ الْحَسَنِ، وَكَانَ أَكْبَرَهُمْ، فَسَأَلَهُ الصَّدَقَةَ فَقَالَ زَيْدٌ: إِنَّ الْوَالِيَ كَانَ بَعْدَ عَلِيٍّ الْحسَنَ وَبَعْدَ الْحَسَنِ الْحُسَيْنَ وَبَعْدَ الْحُسَيْنِ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ وَبَعْدَ عَلِيٍّ بْنِ الْحسَيْنِ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ فَابْعَثْ إِلَيْهِ. فَبَعَثَ ابْنُ حَزْمٍ إِلَى أَبِي فَأَرْسَلَنِي أَبِي بِالْكِتَابِ إِلَيْهِ حَتَّى دَفَعْتُهُ إِلَى ابْنِ حَزْمٍ»[3].

وقد ذكرت كُتب التاريخ أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله رفض شتم علي رضي الله عنه على المنابر، وألغى هذه العادة السيئة.

---

(١) محمد بن عمر بن حزم الأنصاري، ولد في عهد النبي سنة عشر بنجران، وكان أبوه عامل النبي على نجران.. انظر: المجلسي: مرآة العقول: ٣/ ٣٢٤.

(٢) أي سجلّ صدقاتهم وأوقافهم.

(٣) الكليني: أصول الكافي: ١/ ٣٦١، ٣٦٢. كتاب: الحجة، باب: الإشارة والنص على أبي جعفر، والحديث موثّق عند الشيعة.

وقد كان هذا بفضل تربية علماء المسلمين لعمر بن عبد العزيز: «وكان عمر بن عبد العزيز يختلف إلى عبيد الله بن عبد الله يسمع منه، فبلغ عبيد الله أن عمر ينتقص علياً، فلما أتاه عمر أعرض عبيد الله عنه، وقام يصلي، فجلس عمر ينتظره، فلما سلَّم أقبل على عمر مغضباً وقال له: متى بلغك أن الله سخط على أهل بدر بعد أن رضي عنهم؟ قال: ففهمها عمر، وقال معذرة إلى الله ثم إليك، والله! لا أعود، قال فما سمع بعد ذلك يذكر علياً إلا بخير»[1].

صالحو الأمويين ينكرون مظالم سابقيهم:

ومع أن عمر بن عبد العزيز نشأ في بيئة أموية، إلا أن علماء أهل السنّة بيّنوا له ما فعله يزيد من مظالم، فأنكرها أعظم استنكار، لدرجة أنه محا عنه لقب إمارة المؤمنين، وعاقب من لقّبه بها، فعن نوفل بن أبي الفرات قال: كنت عند عمر بن عبد العزيز، فقال رجل: (قال أمير المؤمنين يزيد). فأمرَ به، فضرب عشرين سوطاً[2].

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية: ٩/ ١٩٣.

(٢) سير أعلام النبلاء: ٤/ ٤٠، وانظر: لسان الميزان ٦/ ٢٩٤. انظر: عقائد الإمامية الاثني عشرية، للزنجاني، ص١٥٢.

وهذا الذي فعله عمر بن عبد العزيز هو ما نصّ عليه علماء أهل السنّة والشيعة، فقد سأل رجل الإمام «أحمد بن حنبل عن يزيد، فقال: هو الذي فعل ما فعل. قلت: وما فعل؟ قال: نهب المدينة. وقال له صالح ولده يوماً: إن قوماً ينسبوننا إلى تولّي يزيد. فقال: يا بني! وهل يتوالى يزيد أحد يؤمن بالله واليوم الآخر؟»(١). «قال صالح بن أحمد بن حنبل: قلت لأبي: إن قوماً يقولون: إنهم يحبون يزيد. قال: يا بني! وهل يحب يزيد أحد يؤمن بالله واليوم الآخر؟! فقلت: يا أبت! فلماذا لا تلعنه؟ قال: يا بني! ومتى رأيت أباك يلعن أحداً؟!»(٢). «لهذا كان الذي عليه معتقد أهل السنّة وأئمة الأمة ـ في يزيد ـ أنه لا يُسبّ ولا يُحبّ»(٣).

---

(١) الحلي: منهاج الكرامة ص٨٣.وتتمة الرواية: «فقلت لمَ لمْ تلعنه؟ فقال: وكيف لا ألعن من لعنه الله في كتابه، فقلت: وأين لعن يزيد؟ قال: في قوله: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾ [محمّد: ٢٢] ولعلَّ هذه التتمة غير صحيحة لما في أخبار أهل السنّة من تورع الإمام أحمد عن لعن أي أحد من المسلمين، كما في الخبر التالي في الأصل.

(٢) ابن تيمية: مجموع الفتاوى: ٣/ ٤١٢.

(٣) ابن تيمية: مجموع الفتاوى: ٣/ ٤١٢. وقال عنه: وهذا ابن تيمية - الذي يتهمه أعداؤه بالنصب ـ يقول عن يزيد: «كان فيه من الظلم ما =

وضمير الأمة المسلمة لا يضلّ طريقه، فقد أطلق على عمر بن عبد العزيز اسم الخليفة الراشدي الخامس، رغم أنه لم يكن من الصحابة الكرام، لأنه ﷺ نسج على منوال الخلفاء الراشدين المهديين، في حين لم تطلق هذا اللقب على معاوية ﷺ، ولم ترتضِ أفعال ابنه يزيد.

أهل السنّة يفرحون بانتقام الله من قتَلة الحسين ﷺ:

وقد كان علماء المسلمين فرحين مسرورين لانتقام الله تعالى من قتَلة الحسين ﷺ؛ فشفى الله بقتلهم صدور المؤمنين؛ قال الزهري: «ما بقي أحد من قاتلي الحسين إلا وعوقب في الدنيا؛ إما بالقتل أو العمى أو سواد الوجه أو زوال الملك، في مدة يسيرة»(١).

وكأني أنظر إلى تهلُّل وجه الإمام الترمذي، وهو يروي حديث مهلك ابن زياد: عن عمارة بن عمير قال: لما جيء برأس عبيد الله بن زياد وأصحابه نضدت في المسجد في الرحبة،

= كان». ابن تيمية: منهاج السنَّة النبوية. تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم: ١/ ١١١.

(١) الحلي: منهاج الكرامة، ص٨٢، وانظر الخبر في: منهاج السنّة، لابن تيمية: ٤/ ٣٣٨.

فانتهيت إليهم وهم يقولون: قد جاءت، قد جاءت، فإذا حيّة قد جاءت تخلل الرُّؤُس حتى دخلت في منخري عبيد الله بن زياد، فمكثت هنيهة ثم خرجت، فذهبت حتى تغيبت ثم قالوا: قد جاءت، قد جاءت، ففعلت ذلك مرتين أو ثلاثاً» قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن صحيح[١].

وهذا يؤكد على أن علماء أهل السنّة كانوا ينكرون ما فعله يزيد وغيره من الظلَمة، ولم يكونوا متآمرين متحالفين معهم، ولا راضين بأفعالهم، ولكن سطوة الحكم التي كان هؤلاء يمتلكونها ما كان يقوم بوجهها أحد، لا من قِبل أهل التشيع ولا أهل التسنن.

---

(١) سنن الترمذي، في كتاب: المناقب، مناقب الحسن والحسين ﷺ، رقم ٣٧٨٠.

الفصل الثاني

محبة الصحابة في مدرسة أهل البيت

وإذا نظرنا إلى سمو العلاقة بين الصحب والآل رضوان الله عليهم جميعاً من الزاوية الأخرى؛ فسنرى ما يثلج الصدر ويسر النفس.

فقد سئل عبد الله الملقّب بالمَحْض شيخ بني هاشم ورئيسهم ووالد ذي النفس الزكية: «أتمسح على الخفين؟ فقال: امسحْ، فقد مسح عمر، فقال له السائل: إنما أسألك أنت تمسحُ؟ قال: ذلك أعجز لك، أخبرك عن عمر وتسألني عن رأيي؟! فعمر خيرٌ مني وملء الأرض مثلي.

فقيل له: هذا تقية؟ فقال: نحن بين القبر والمنبر، اللهمّ! هذا قولي في السرّ والعلانية، فلا تسمع قول أحد بعدي. ثم قال: من هذا الذي يزعم أن علياً كان مقهوراً؟ وأن النبي ﷺ أمره بأمر فلم ينفذه؟ فكفى بهذا إزراء ومنقصة له»[1].

---

(١) ابن حجر الهيتمي: الصواعق المحرقة: ١/ ١٥٥، وعزاه للدارقطني. =

وقال محمد الباقر: «**أجمع بنو فاطمة رضي الله عنها على أن يقولوا في الشيخين أحسن ما يكون من القول**»[1] والمقصود بالشيخين: أبو بكر وعمر رضي الله عنهما.

وعن جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر «أن رجلاً جاء إلى أبيه زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام فقال: أخبرني عن أبي بكر فقال: عن الصديق؟ فقال: وتسميه الصديق؟ فقال: ثكلتك أمك! قد سمّاه صدّيقاً رسولُ الله والمهاجرون والأنصار، ومن لم يسمّه صدّيقاً فلا صدّق الله عزَّ وجلَّ قوله في الدنيا والآخرة، اذهب فأحبّ أبا بكر وعمر رضي الله عنهما»[2].

كما كان أئمة أهل البيت يسترشدون بأقوال صحابة النبي ﷺ، وخصوصاً أقوال أبي بكر وعمر رضي الله عنهما؛ عن عروة عن عبد الله قال: «سألت أبا جعفر الباقر عن حلية السيف؟ قال: لا بأس به، قد حلّى أبو بكر الصديق رضي الله عنه سيفه. قال: قلت: تقول

= ويقصد الشيخ المحض في كلامه الأخير أن علياً بايع أبا بكر وعمر وعثمان طوعاً، لا قهراً، وينكر أن يكون النبي ﷺ قد أمره وأوصىٰ له بالخلافة، لأنه لو ثبت أمر النبي ﷺ له، وقعد عن هذا الأمر لكان هذا منقصة في حقه، وحاشاه رضي الله عنه.

(١) الصواعق المحرقة: ١/ ١٥٥.

(٢) الصواعق المحرقة: ١/ ١٥٦ وعزاه إلى الدارقطني.

الصدّيق؟ قال: نعم الصدّيق، نعم الصدّيق، نعم الصدّيق، فمن لم يقل الصدّيق فلا صدّق الله قوله في الدنيا وفي الآخرة»[(١)].

وكانوا يدافعون عن صحابة النبي ﷺ وخصوصاً عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فعن «محمد بن حاطب عن علي بن الحسين قال: أتى نفر من أهل العراق، فقالوا في أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم.

فلما فرغوا قال لهم علي بن الحسين: ألا تخبروني، أنتم المهاجرون الأولون ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ﴾؟ [الحشر: ٨] قالوا: لا.

قال: فأنتم ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر: ٩] قالوا: لا.

قال: أما أنتم فقد تبرأتم أن تكونوا من أحد هذين الفريقين، ثم قال: أشهد أنكم لستم من الذين قال الله عزَّ وجلَّ فيهم: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا

---

(١) التستري: الصوارم المهرقة: ١/١٥٦، وانظر: د. فرماوي: الشيعة والصحابة ص٢٤.

ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠]، اخرجوا، فعل الله بكم»[١].

وقال الإمام جعفر الصادق: «أبلغ أهل الكوفة أني بريء ممن تبرّأ من أبي بكر وعمر»[٢].

وإذا كانت هذه الروايات قد وجدت في مصادر أهل السنّة، فقد وُجد في روايات الاثني عشرية ما يصدِّقها؛ فقد جاء في نهج البلاغة ـ وهو كتاب معتمد عند الاثني عشرية ـ قول علي رضي الله عنه: «فمشيت عند ذلك إلى أبي بكر فبايعته، ونهضت في تلك الأحداث حتى زاغ الباطل، وزهق، وكانت كلمة الله هي العليا ولو كره الكافرون، فتولى أبو بكر تلك الأمور فيسر وسدد وقارب، واقتصد، فصحبته مناصحاً، وأطعته فيما أطاع الله فيه جاهداً . . . فسمِعْنا وأطعْنا وناصحْنا، وتولّى عمر، فكان مَرْضيّ السيرة ميمون النقيبة»[٣].

ولسنا ننكر أن علياً رضي الله عنه وجد في نفسه أنه لم يستشر في أمر الخلافة، ولكن هذا ما كان ليصل به إلى إنكار فضل أبي بكر

(١) ابن أبي الفتح الإربلي: كشف الغمة: ٢/ ٢٩١، انظر: تفسير القرطبي ١٨/ ٣١، ٣٢.

(٢) حلية الأولياء: ٣/ ١٨٥.

(٣) نهج البلاغة: ١/ ١٣٢.

وعمر رضي الله عنهما وباقي صحابة النبي ﷺ، بل إنه رضي الله عنه كان ناصحاً لهم، يسير في ركابهم، ويطير في سربهم، وكان يقول: «لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين، ولم يكن فيها جور إلّا علَيّ خاصة»[1].

وقد اعترف بهذا كتّاب الشيعة، يقول اليزدي: «وقد سكت الإمام الذي هو الخليفة المنصوب من قِبل الله والرسول ﷺ خلال فترة الخلفاء الثلاثة، رعايةً لمصالح الأمة الإسلامية الجديدة، ولم ينطق بشيء إلا ما يتم به الحجة، وفي الوقت نفسه لم يتخلف لحظة عن تقديم الخدمات والجهود لما فيه مصلحة الإسلام والمسلمين»[2].

فما دام الإمام قد سكت عما سمّاه اليزدي: فترة الخلفاء الثلاثة؛ فما بال من يزعمون أنهم أتباعه لا يسكتون حيث سكت، وهل اختلفت مصالح المسلمين اليوم عنها في الأمس؟ فإذا كان علي رضي الله عنه حريصاً على مصالح الأمة، فلماذا لا يكون أتباعه حريصين أيضاً عليها، فلا يثيرون في الأمة ما يفرّقها؟!.

لقد كان رضي الله عنه حريصاً على مصلحة الأمة، ولذلك بايع أبا بكر

---

(١) نهج البلاغة: ١/ ١٣٤، دار المعرفة ـ بيروت، بشرح الشيخ محمد عبده.

(٢) محمد تقي مصباح اليزدي: دروس في العقيدة، ص٣٥٣.

ﷺ ونهض معه في أعباء محاربة المرتدين فقال: «فما راعني إلا انثيال الناس على أبي بكر يبايعونه، فأمسكت يدي، حتى إذا رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام ـ أي صارت ردة ـ فخشيت إن أنا لم أنصر الإسلام وأهله، أن أرى فيه ثلماً أو هدماً يكون المصيبة به عليَّ أعظم من فوت ولايتكم هذه، التي هي متاع أيام قلائل يزول منها ما زال كما يزول السراب وكما ينقشع السحاب[١]، فنهضت حتى زاح الباطل وزهق، واطمأن الدين وتنَهْنَه»[٢].

وها هو يشير على أمير المؤمنين عمر ﷺ في أمر خروجه مع الجيش لمواجهة الفرس، فينصحه بعدم الخروج قائلاً: «إنك متى تسر إلى هذا العدو بنفسك، فتلقهم فَتُنْكَبَ، لا تكن للمسلمين كانفة دون أقصى بلادهم، ليس بعدك مرجع يرجعون إليه، فابعث إليهم رجلاً مِحْرَباً، واحفز معه أهل البلاء والنصيحة، فإن أظهره الله فذاك ما تحب، وإن تكن الأخرى كنت ردءاً للناس ومثابة للمسلمين»[٣].

«لا تذهب، فأنت رأس الأمر وسنامه، إن هذا الأمر لم

(١) هذا يدل على أن ولايته لم تكن وصية دينية، وإنما مصلحة دنيوية.
(٢) نهج البلاغة: ٣/ ١١٩.
(٣) نهج البلاغة ص١٩٣. تحقيق: صبحي صالح. المِحْرَب: الرجل العليم بالحرب.

يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا قلة. وهو دين الله الذي أظهره، وجُنده الذي أعدّه وأمده، حتى بلغ ما بلغ وطلع حيث طلع. ونحن على موعود من الله، والله منجز وعده وناصر جنده»[١].

«ومكان القيّم بالأمر مكان النظام من الخرز يجمعه ويضمه، فإن انقطع النظام تفرق وذهب، ثم لم يجتمع بحذافيره أبداً. والعرب اليوم وإن كانوا قليلاً فهم كثيرون بالإسلام وعزيزون بالاجتماع. فكن قطباً، واستدر الرحى بالعرب، وأصلِهم دونك نار الحرب، فإنك إن شخصت من هذه الأرض انتقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها، حتى يكون ما تدع وراءك من العورات أهم إليك مما بين يديك، إن الأعاجم إن ينظروا إليك غداً يقولوا: هذا أصل العرب فإذا قطعتموه استرحتم، فيكون ذلك أشد لكلَبِهم عليك وطمعهم فيك.

فأما ما ذكرت من مسير القوم إلى قتال المسلمين فإن الله سبحانه هو أكره لمسيرهم منك، وهو أقدر على تغيير ما يكره.

---

(١) لاحظ أنه يسمي هؤلاء الذين حول عمر جُند الإسلام، وأن الله ناصرهم، وقارن ما سيقوله بعض علماء الاثني عشرية عن جيل الصحابة والتابعين من أنهم أهل ردة ونفاق ...إلخ.

وأما ما ذكرت من عددهم فإنا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة، وإنما كنا نقاتل بالنصر والمعونة»[١].

وقد عمل عمر بنصيحة علي رضي الله عنهما، لأنه كان يقرّ بفضله ورجاحة عقله، وكان يقول: (**لولا عليٌّ لهلك عمر**)[٢]. ولذلك كان يكثر من استشارته استصواباً لرأيه.

فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: «أُتي عمر رضي الله عنه بمجنونة قد زنت، فاستشار فيها أناساً، فأمر بها عمر أن تُرجم، فمرّ بها على عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه فقال: ما شأن هذه؟ قالوا: مجنونة بني فلان، زنت فأمر بها عمر أن تُرجم، قال: ارجعوا بها، ثم أتاه، فقال: يا أمير المؤمنين! أما علمت أن القلم قد رُفع عن ثلاثة؛ عن المجنون حتى يبرأ، وعن النائم حتى يستيقظ وعن الصبي حتى يعقل؟ قال: بلى، قال: فما بال هذه تُرجم؟ قال: لا شيء، قال: فأرسلها، قال: فجعل عمر يكبّر»[٣].

(١) نهج البلاغة ص١٦٣، ١٦٤. نسخة بشرح الشيخ محمد عبده مكتبة مصر، المجلسي: بحار الأنوار: ١٣٨/٣١.

(٢) ابن العربي: العواصم من القواصم، ص٢٠٢. وقد قالها عمر لغيره أيضاً من فقهاء وعلماء الصحابة، كمعاذ بن جبل، ففي سنن البيهقي: (٤٤٣/٧): «لولا معاذ لهلك عمر».

(٣) رواه أبو داود: كتاب: الحدود، باب: المجنون يسرق أو يصيب حداً، رقم ٤٣٩٩، وهو حديث صحيح الإسناد.

وقد كان عليٌّ بالمقابل يقرّ أيضاً بفضل عمر ﵄، ولذلك جاء في بعض روايات الاثني عشرية أنه «**لما غُسّل عمر وكُفِّن دخل علي عليه السلام فقال: ما على الأرض أحد أحب إليَّ أن ألقى الله بصحيفته من هذا المسجّى بين أظهركم**»[1].

ويشهد لهذه الرواية ما في كتب أهل السنّة: عن ابن عباس ﵄ يروي حادثة موت عمر ﵁، فيقول: «وُضع عمر بن الخطاب على سريره، فتكنّفه الناس يدعون ويُثنون ويصلون عليه قبل أن يرفع، وأنا فيهم، قال: فلم يرعني إلا برجل قد أخذ بمنكبي من ورائي، فالتفت إليه فإذا هو علي، فترحَّم على عمر، وقال: ما خلفت أحداً أحب إليّ أن ألقى الله بمثل عمله منك، وايم الله! إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك، وذاك أني كنت أُكثِّرُ أسمعُ رسول الله ﷺ يقول: (**جئت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر**)، فإن كنت لأرجو أو لأظن أن يجعلك الله معهما»[2].

---

(١) انظر: الصدوق: معاني الأخبار، ص١١٧، ط إيران، الطوسي: تلخيص الشافي: ٢/٤٢٨، ط إيران.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري في كتاب: فضائل الصحابة، باب: مناقب عمر بن الخطاب، رقم ٣٦٨٥، وأخرجه مسلم، كتاب: فضائل الصحابة ﵃، باب: من فضائل عمر ﵁، رقم ٢٣٨٩.

وقد ذكرت بعض كتب الشيعة بعض المديح للصحابة:

فقد روى الحسن عن علي رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن أبا بكر مني بمنزلة السمع، وإن عمر مني بمنزلة البصر»[١].

وعَنْ أَبِي جَعْفَرٍ [عليه السلام] قَالَ: «بَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ إِذْ لَقِيَهُ رَكْبٌ فَقَالُوا: السَّلامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ الله! فَقَال: مَا أَنْتُمْ؟ فَقَالُوا: نَحْنُ مُؤْمِنُونَ يَا رَسُولَ الله! قَالَ: فَمَا حَقِيقَةُ إِيمَانِكُمْ؟ قَالُوا: الرِّضَا بِقَضَاءِ الله، وَالتَّفْوِيضُ إِلَى الله وَالتَّسْلِيمُ لأَمْرِ الله. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: (**عُلَمَاءُ حُكَمَاءُ كَادُوا أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْحِكْمَةِ أَنْبِيَاءَ، فَإِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَلا تَبْنُوا مَا لا تَسْكُنُونَ، وَلا تَجْمَعُوا مَا لا تَأْكُلُونَ، وَاتَّقُوا الله الَّذِي إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**)»[٢].

فهؤلاء الصحابة الذين وصفهم النبي ﷺ بهذا الوصف هل من الممكن أن يتخلوا عما ربّاهم عليه النبي ﷺ؟ وهل يمكن أن يتخلّف وصف النبي ﷺ لهم، وهو المؤيد بالوحي؟ هل من الممكن أن يمتدح النبي ﷺ صحابته؟ وهو يعلم بالوحي أنهم

---

(١) انظر: ابن بابويه القمي: عيون أخبار الرضا: ١/ ٣١٣، القمي: معاني الأخبار، ص١١٠.

(٢) أصول الكافي: ٢/ ٥٤ كتاب: الإيمان والكفر، باب: خصال المؤمن.

سينقلبون على أعقابهم، ولن يثبت منهم على الحق إلا ثلاثة أو أربعة رجال، كما ستذكر بعض روايات الشيعة؟.

وهذا علي رضي الله عنه يذكر أقرانه من صحابة النبي ﷺ، فيذكر فضائلهم، وكلُّه شوق إلى زمانهم:

عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: «صَلَّى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام بِالنَّاسِ الصُّبْحَ بِالْعِرَاقِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ وَعَظَهُمْ فَبَكَى وَأَبْكَاهُمْ مِنْ خَوْفِ الله، ثُمَّ قَالَ: أَمَا وَالله لَقَدْ عَهِدْتُ أَقْوَاماً عَلَى عَهْدِ خَلِيلِي رَسُولِ الله ﷺ وَإِنَّهُمْ لَيُصْبِحُونَ وَيُمْسُونَ شُعْثاً غُبْراً خُمُصاً، بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ كَرُكَبِ الْمِعْزَى، يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً، يُرَاوِحُونَ بَيْنَ أَقْدَامِهِمْ وَجِبَاهِهِمْ، يُنَاجُونَ رَبَّهُمْ وَيَسْأَلُونَهُ فَكَاكَ رِقَابِهِمْ مِنَ النَّارِ، وَالله! لَقَدْ رَأَيْتُهُمْ مَعَ هَذَا وَهُمْ خَائِفُونَ مُشْفِقُونَ»(١).

«إذا ذكر اللهُ هَمَلَتْ أعينهم حتى تبلّ جيوبهم، ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف خوفاً من العقاب ورجاء للثواب»(٢).

---

(١) أصول الكافي: ٢/ ٢٣٦، كتاب: الإيمان والكفر، باب: المؤمن علاماته وصفاته، وقال محققه: والحديث صحيح.

(٢) نهج البلاغة، ص١٤٣، الخطبة ٩٦. دار الكتاب ـ بيروت، ١٣٨٧هـ، تحقيق: صبحي الصالح.

وقال: «أين القوم الذين دُعوا إلى الإسلام فقبلوه، وقرؤوا القرآن فأحكموه، وهُيِّجوا إلى القتال فَوَلِهُوْا ولَه اللقاح إلى أولادها، وسلبوا السيوفَ أغمادها، وأخذوا بأطراف الأرض زحفاً زحفاً وصفَّاً صفّاً، بعضٌ هلك وبعض نجا، لا يُبشَّرون بالأحياء ولا يُعزَّون عن الموتى، مُرْهُ العيون من البكاء، خمص البطون من الصيام، ذبل الشفاه من الدعاء، صفر الألوان من السهر، على وجوههم غبرة الخاشعين، أولئك إخواني الذاهبون، فحقَّ لنا أن نظمأ إليهم، ونعضّ الأيدي على فراقهم»[1].

وقال رضي الله عنه: «فاز أهل السبق بسبقهم، وذهب المهاجرون الأوَّلون بفضلهم». وقال أيضاً: «وفي المهاجرين خير كثير نعرفه، جزاهم الله خير الجزاء»[2].

وكان رضي الله عنه يأمر أتباعه بأن يقتدوا بالمهاجرين والأنصار في دفاعهم عن النبي ﷺ ودعوته:

«أما بعد! أيها الناس: فوالله لأهل مِصْرِكم في الأمصار أكثر

(١) المصدر السابق، ص ١٧٨، فولهوا: من الوَلَه، وهو هيجان الفؤاد من فقدان الأحبة، مُرْه العيون: المرَهُ فساد العين أو بياضها من شدة البكاء.

(٢) المصدر السابق، ص٣٨٣.

من الأنصار في العرب، وما كانوا يوم أعطوا رسول الله ﷺ أن يمنعوه ومن معه من المهاجرين حتى يبلّغ رسالات ربه إلا قبيلتين صغير مولدها، وما هما بأقدم العرب ميلاداً، ولا بأكثرهم عدداً، فلما آووا النبي ﷺ وأصحابه، ونصروا الله ودينه، رمتهم العرب عن قوس واحدة، وتحالفت عليهم اليهود، وغزتهم اليهود والقبائل قبيلة بعد قبيلة.

فتجرَّدوا لنصرة دين الله، وقطعوا ما بينهم وبين العرب من الحبائل وما بينهم وبين اليهود من العهود، ونصبوا لأهل نجد وتهامة وأهل مكة واليمامة وأهل الحزْن والسهل وأقاموا قناة الدين، وتصبَّروا تحت أحلاس الجِلَاد حتى دانت لرسول الله ﷺ العرب، ورأى فيهم قرة العين قبل أن يقبضه الله إليه، فأنتم في الناس أكثر من أولئك في أهل ذلك الزمان من العرب»[١].

ويروي المجلسي عن الطوسي رواية موثّقة عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال لأصحابه: «أوصيكم في أصحاب رسول الله ﷺ، لا تسبّوهم، فإنهم أصحاب نبيّكم، وهم أصحابه

(١) الثقفي الأصبهاني (أبو إسحاق إبراهيم الثقفي الكوفي الأصبهاني الشيعي، ت ٢٨٣هـ): الغارات: ٢/ ٤٧٩، ٤٨٠.

الذين لم يبتدعوا في الدين شيئاً، ولم يوقروا صاحب بدعة، نعم! أوصاني رسول الله ﷺ في هؤلاء»[١].

وورد في (مقاتل الطالبيين) نهيُ علي رضي الله عنه عن ظلم صحابة النبي ﷺ: **«أصحاب نبيّكم فلا يظلمُنَّ بين أظهركم»**[٢].

ويمدح المهاجرين والأنصار معاً، حيث يجعل في أيديهم الخيار لتعيين الإمام وانتخابه، وهم أهل الحل والعقد في القرن الأول من بين المسلمين، وليس لأحد أن يردَّ عليهم، ويتصرف دونهم، ويعرض عن كلمتهم، لأنهم هم الأهل للمسلمين والأساس، فيقول: **«إنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسمَّوه إماماً كان ذلك لله رضاً، فإن خرج منهم خارجٌ بطعن أو بدعة ردُّوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى»**[٣].

وهذا الإمام زين العابدين يخصّ في دعائه صحابة النبي ﷺ وتابعيهم بالدعاء، فيقول في صحيفته السجادية؛ داعياً لهم مقرّاً بفضلهم:

---

(١) المجلسي: حياة القلوب: ٢/ ٦٢١.

(٢) أبو الفرج الأصبهاني: مقاتل الطالبيين، ص٣٩.

(٣) نهج البلاغة: ٣/ ٧، ط بيروت، تحقيق: محمد عبده، وص٣٦٧، تحقيق: د.صبحي الصالح.

«اللهمَّ وأصحابَ محمد خاصة، الذين أحسنوا الصحبة، والذين أبلوا البلاء الحسن في نصره، وكاتفوه وأسرعوا إلى وفادته، وسابقوا إلى دعوته، واستجابوا له حيث أسمعهم حجة رسالته، وفارقوا الأزواج والأولاد في إظهار كلمته، وقاتلوا الآباء والأبناء في تثبيت نبوّته، والذين هجرتهم العشائر إذ تعلّقوا بعروته، وانتفت منهم القرابات إذ سكنوا في ظل قرابته، اللهمَّ ما تركوا لك وفيْك، وأَرْضِهِم من رضوانك وبما حاشوا الحق عليك، وكانوا من ذلك لك وإليك.

واشكرهم على هجرتهم فيك ديارهم وخروجهم من سعة المعاش إلى ضيقه، ومن كثرة في اعتزاز دينك إلى أقلّه، اللهمَّ وأوصل إلى التابعين لهم بإحسان الذين ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠] خير جزائك، الذين قصدوا سَمْتَهُم، وتحرَّوا جهتَهم، لو مضوا إلى شاكلتهم لم يثنهم ريب في بصيرتهم، ولم يختلجهم شك في قفوِ آثارهم والائتمام بهداية منارهم، مُكانفين ومؤازرين لهم، يدينون بدينهم، ويهتدون بهديهم، يتفقون عليهم، ولا يتهمونهم فيما أدوا إليهم»[١].

---

(١) صحيفة زين العابدين (الصحيفة السجادية)، ص١٣، الدعاء الرابع، ط الهند ١٢٤٨هـ.

ﷺ ونهض معه في أعباء محاربة المرتدين فقال: «فما راعني إلا انثيال الناس على أبي بكر يبايعونه، فأمسكت يدي، حتى إذا رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام ـ أي صارت ردة ـ فخشيت إن أنا لم أنصر الإسلام وأهله، أن أرى فيه ثلماً أو هدماً يكون المصيبة به عليَّ أعظم من فوت ولايتكم هذه، التي هي متاع أيام قلائل يزول منها ما زال كما يزول السراب وكما ينقشع السحاب[١]، فنهضت حتى زاح الباطل وزهق، واطمأن الدين وتنَهْنَه»[٢].

وها هو يشير على أمير المؤمنين عمر ﷺ في أمر خروجه مع الجيش لمواجهة الفرس، فينصحه بعدم الخروج قائلاً: «إنك متى تسر إلى هذا العدو بنفسك، فتلقهم فَتُنْكَبَ، لا تكن للمسلمين كانفة دون أقصى بلادهم، ليس بعدك مرجع يرجعون إليه، فابعث إليهم رجلاً مِحْرَباً، واحفز معه أهل البلاء والنصيحة، فإن أظهره الله فذاك ما تحب، وإن تكن الأخرى كنت ردءاً للناس ومثابة للمسلمين»[٣].

«لا تذهب، فأنت رأس الأمر وسنامه، إن هذا الأمر لم

---

(١) هذا يدل على أن ولايته لم تكن وصية دينية، وإنما مصلحة دنيوية.

(٢) نهج البلاغة: ٣/ ١١٩.

(٣) نهج البلاغة ص١٩٣. تحقيق: صبحي صالح. المِحْرَب: الرجل العليم بالحرب.

يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا قلة. وهو دين الله الذي أظهره، وجُنده الذي أعدّه وأمده، حتى بلغ ما بلغ وطلع حيث طلع. ونحن على موعود من الله، والله منجز وعده وناصر جنده»[(١)].

«ومكان القيّم بالأمر مكان النظام من الخرز يجمعه ويضمه، فإن انقطع النظام تفرق وذهب، ثم لم يجتمع بحذافيره أبداً. والعرب اليوم وإن كانوا قليلاً فهم كثيرون بالإسلام وعزيزون بالاجتماع. فكن قطباً، واستدر الرحى بالعرب، وأصلِهم دونك نار الحرب، فإنك إن شخصت من هذه الأرض انتقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها، حتى يكون ما تدع وراءك من العورات أهم إليك مما بين يديك، إن الأعاجم إن ينظروا إليك غداً يقولوا: هذا أصل العرب فإذا قطعتموه استرحتم، فيكون ذلك أشد لكلَبِهم عليك وطمعهم فيك.

فأما ما ذكرت من مسير القوم إلى قتال المسلمين فإن الله سبحانه هو أكره لمسيرهم منك، وهو أقدر على تغيير ما يكره.

---

(١) لاحظ أنه يسمي هؤلاء الذين حول عمر جُند الإسلام، وأن الله ناصرهم، وقارن ما سيقوله بعض علماء الاثني عشرية عن جيل الصحابة والتابعين من أنهم أهل ردة ونفاق ...إلخ.

أبيه عن جابر بن عبد الله ﵁ في حديث أسماء بنت عميس حين نَفِسَتْ بذي الحليفة أن رسول الله ﷺ أمر أبا بكر ﵁ فأمرها أن تغتسل وتُهلّ»[١].

وقد كان دأب الشيعة الأوائل تفضيل أبي بكر الصدّيق على غيره من الصحابة: قال شريك بن عبد الله بن أبي نمر، وقال له قائل: أيهما أفضل أبو بكر أو علي؟ فقال له: أبو بكر. فقال له السائل: أتقول هذا وأنت من الشيعة؟ فقال: نعم. إنما الشيعي من يقول هذا. والله! لقد رقى عليٌّ هذه الأعواد فقال: (**ألا إن خير هذه الأمة بعد نبيِّها أبو بكر وعمر**). أفكنّا نردّ قوله؟ أفكنّا نكذِّبه؟ والله! ما كان كذّاباً»[٢].

وكذلك لا يستغرب أن يروي جعفر وأبوه رحمهما الله بعض أخبار عمر أيضاً، ففي موطأ الإمام مالك: «عن جعفر بن محمد بن علي عن أبيه أن عمر بن الخطاب ذكر المجوس فقال: ما أدري كيف أصنع في أمرهم، فقال عبد الرحمن بن عوف:

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: الحج، باب: إحرام النفساء، رقم ١٢٠٩.
(٢) ابن تيمية: منهاج السنّة النبوية: ٢/ ٨٦.

أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: **(سنُّوا بهم سنّة أهل الكتاب)**»[١].

وجاءت إحدى النساء إلى الإمام الصادق، «فتكلّمت فإذا امرأة بليغة، **فسألتْه عنهما (أي: أبا بكر وعمر) فقال لها: تَوَلِّيْهِمَا، قالت: فأقول لربِّي إذا لقيتُه: إنك أمرتني بولايتهما؟ قال: نعم**»[٢].

وإذا استفاض في كثير من روايات القوم وكتبهم الإساءة إلى عثمان رضي الله عنه، فإن بعضها الآخر يمتدحه، فتذكر إحدى الروايات عن علي أن عثمان رضي الله عنه قد ساعده في مؤنة زفافه، «قال علي: فأخذت درعي فانطلقت به إلى السوق، فبعته بأربع مئة درهم سود هجرية من عثمان بن عفان، فلما قبضت الدراهم منه وقبض الدرع مني قال: يا أبا الحسن! ألستُ أولى بالدرع منك، وأنت أولى بالدراهم مني؟ فقلت: نعم، قال: فإن هذا الدرع هدية مني إليك، فأخذت الدرع والدراهم وأقبلت إلى رسول الله ﷺ

(١) الإمام مالك بن أنس: الموطأ برواية يحيى الليثي: ١/ ٢٧٨. دار إحياء التراث العربي ـ مصر. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٢) الروضة من الكافي: ٨/ ١٠١، تحت عنوان: حديث أبي بصير مع المرأة.

فطرحت الدرع والدراهم بين يديه، وأخبرته بما كان من أمر عثمان، فدعا له النبي ﷺ بخير»[١].

وتذكر مديح جعفر الصادق لعثمان وشيعته: (**ينادي مناد من السماء أول النهار: ألا إن عليًّا صلوات الله عليه وشيعته هم الفائزون، قال: وينادي مناد آخر النهار: ألا إن عثمان وشيعته هم الفائزون**)[٢].

وتؤكد بعض كتب الشيعة ما ورد في السيرة من مبايعة النبي ﷺ عن عثمان تحت الشجرة في الحديبية، وتؤكد حُسن ظن النبي ﷺ بزوج ابنتيه، يقول الكليني في الروضة: «**وجلس عثمان في عسكر المشركين، وبايع رسول الله ﷺ المسلمين، وضرب بإحدى يديه على الأخرى لعثمان، وقال المسلمون: طوبى لعثمان! قد طاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة وأحلَّ، فقال رسول الله ﷺ: ما كان ليفعل، فلما جاء عثمان قال له رسول الله ﷺ: أطفت بالبيت؟ فقال: ما كنت لأطوف بالبيت ورسول الله ﷺ لم يطف به**»[٣].

---

(١) المجلسي: بحار الأنوار: ٤٣/ ١٣١، الأربيلي: كشف الغمة: ١/ ٣٥٩.

(٢) الكليني: فروع الكافي: ٨/ ٢٠٩.

(٣) الكليني: روضة الكافي: ٨/ ٣٢٥، ٣٢٦.

كما تذكر بعض الروايات مبايعة علي لعثمان بالخلافة، قال علي رضي الله عنه: «**فبايعتم عثمان فبايعته**»[١].

ومن أوضح الأدلة على حُسن العلاقة بين الصحابة الكرام رضي الله عنهم وآل بيت النبي ﷺ - وخصوصاً علي والخلفاء الثلاثة -: تسمية علي بعض أولاده بأسماء من سبقه بالخلافة، وهذا دليل المحبة، إذ لا يسمي المرء أولاده إلا بأحب الأسماء وأفضلها، فعندما يذكر لنا المفيد وغيره أولاد سيدنا علي رضي الله عنه يذكر منهم: (**عبد الله، عمر، عثمان**)[٢].

وفي الكافي رواية جاء في سندها: «..عَنْ عِيسَى بْنِ عَبْدِ الله بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ الله [عليه السلام]...»[٣].

---

(١) الطوسي: الأمالي: ١٨/ ١٢١، ط النجف.

(٢) الإرشاد في معرفة حجج الله تعالى على العباد - للشيخ المفيد، ص٣٥٤، ٣٥٥. عمر أمه أم حبيب بنت ربيعة. وعثمان و عبد الله أمهما أم البنين بنت حزام بن خالد بن دارم. ومن أولاد علي محمد الأصغر، وكان يكنى بأبي بكر، أمه ليلى بنت مسعود الدارمية، واستشهدوا جميعاً مع أخيهم الحسين في كربلاء، رضوان الله عليهم.

(٣) أصول الكافي: ١/ ٣٦٦، كتاب: الحجة، باب: الإشارة. والنص على أبي الحسن موسى.

والمرء لا يسمي أولاده بأسماء خصومه وأعدائه، لأنه يريد أن ينساهم ويتخلص من ذكراهم، وما أكثر ما نعرض عن أسماء مشتهرة لأنها تذكرنا بمن نكره.

ومن الروايات الاثني عشرية المبينة لفضل الصحابة هذه الرواية:

«عن أبي عبد الله قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ اثني عشر ألفاً[1]، ثمانية آلاف في المدينة وألفان من أهل مكّة، وألفان من الطُّلقاء، لم يرد فيهم قدري، ولا مرجئ، ولا حروري، ولا معتزلي، ولا صاحب رأي، كانوا يبكون اللّيل والنّهار»[2].

وفي بحار الأنوار بشارة للتابعين لأنهم رأوا الصحابة،

---

(١) عدد الصحابة الذي ذكرته الرواية غير صحيح، فإن الصّحابة الذين شهدوا معه حُنيناً كانوا اثنا عشر ألفاً، سوى الأتباع والنّساء، ثم جاءت إليه هوازن مسلمين، قال أبو زرعة: توفي النّبيّ ﷺ ومن رآه وسمع منه زيادة عن مئة ألف إنسان من رجل وامرأة. (تدريب الرّاوي: ٢/ ٢٢١، الإصابة: ١/ ٤). وإن كان هؤلاء الصحابة متفاوتين من حيث القرب والمواظبة على الصحبة.

(٢) ابن بابويه القمي: الخصال: ص ٦٣٩، ٦٤٠، مكتبة الصدوق طهران، وانظر: المجلسي: بحار الأنوار: ٢٢/ ٣٠٥.

ولتابعي التابعين؛ لأنهم رأوا من رآهم؛ قال النبي ﷺ: **«طوبى لمن رآني، وطوبى لمن رأى من رآني، وطوبى لمن رأى من رأى من رآني»**(١).

وعن موسى بن جعفر (إمامهم السّابع) قال: قال رسول الله ﷺ: **«أنا أمَنة لأصحابي، فإذا قبضت دنا من أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمّتي، فإذا قبض أصحابي دنا من أمّتي ما يوعدون، ولا يزال هذا الدّين ظاهراً على الأديان كلّها ما دام فيكم من قد رآني»**(٢).

وعن جعفر الصادق عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «ما وجدتم في كتاب الله عزَّ وجلَّ فالعمل لكم به، لا عذر لكم في تركه، وما لم يكن في كتاب الله عزَّ وجلَّ، وكانت فيه سنّة مني فلا عذر لكم في ترك سنّتي، وما لم يكن فيه سنّة مني **فما قال أصحابي فقولوا به، فإنما مثل أصحابي فيكم كمثل النجوم بأيها أخذ اهتدى، وبأي أقاويل أصحابي أخذتم اهتديتم..»**(٣).

---

(١) أمالي الصدوق، ص٢٤٠، ٢٤١، بحار الأنوار: ٢٢/ ٣٠٥.

(٢) المجلسي: بحار الأنوار: ٢٢/ ٣٠٩، ٣١٠.

(٣) ابن بابويه: معاني الأخبار، ص١٥٦، ١٥٧، المجلسي: بحار الأنوار ٢٢/ ٣٠٧. ولكن زاد دعاة التفرقة على هذا النص الزيادة التالية: (فقيل: يا رسول الله، ومن أصحابك؟ قال: أهل بيتي)!. ونلاحظ في =

وعن جعفر الصّادق ـ أيضاً ـ عن آبائه عن علي [عليه السلام] قال: «أوصيكم بأصحاب نبيّكم لا تسبّوهم، الذين لم يحدثوا بعده حدثاً ولم يُؤْوُا مُحدِثاً، فإنّ رسول الله ﷺ أوصى بهم الخير»[1].

موقف دعاة التفرقة والطائفية من النصوص التي تمتدح الصحابة الكرام رضي الله عنهم:

إن عدداً من عقلاء الشيعة يصدّق بهذه النصوص، ويدين بها لله رب العالمين، فهو يترضى على الصحابة الكرام، وخصوصاً الخلفاء الراشدين الثلاثة.

ولكن هناك الذين لا يريدون توحيد الأمة، بل يعجبهم ضرب بعضها ببعض، ولذلك وقفوا أمام هذه النصوص حائرين!.

وكانت التقية هي المشجب الأكبر الذي علّقوا عليه هذه النصوص وأمثالها، وبهذا يبطلون مفعولها، ويصرفون أتباعهم عنها؛ لأنها تخالف ضرورات مذهبهم كما يقولون.

وما دامت هذه النصوص عندهم للتقية؛ فيجب كتمانها، أو

= هذا تفسير الصحبة بآل البيت، وهذا تفسير بعيد جداً. ويدل على أن هذه الزيادة ليست في أصل النص أن ابن بابويه حمل هذا النص على التقية. (انظر: معاني الأخبار، ص ١٥٦، ١٥٧).

(١) المجلسي: البحار: ٢٢/٣٠٥، ٣٠٦.

التقليل من شأنها ومن تلاوتها حتى لا تنقض المذهب، ولذلك يقول المفيد: «ما خرج للتقية لا يكثر روايته عنهم كما تكثر روايات المعمول به»[١].

وقال ميثم البحراني: «واعلم أن الشيعة قد أوردوا هنا سؤالاً فقالوا: إن هذه الممادح التي ذكرها في حق أحد الرجلين[٢] تنافي ما أجمعنا عليه من تخطئتهم وأخذهما لمنصب الخلافة، فإما أن لا يكون هذا الكلام من كلامه ﷺ، وإما أن يكون إجماعنا خطأ». ثم حملوا هذه الممادح للشيخين على التقية، وأنه إنما كان لأجل «استصلاح من يعتقد صحة خلافة الشيخين، واستجلاب قلوبهم بمثل هذا الكلام»[٣].

وعندما يتركون هذه النصوص الثابتة عن أئمة أهل البيت رضوان الله عليهم، فإنهم يعوّلون على روايات مسمومة، يرضعونها أولادهم حتى يشبّ عليها الصغير، ويشيب عليها الكبير، كلّها حقد وبغض لصحابة النبي ﷺ[٤].

---

(١) تصحيح الاعتقاد، ص٧١.

(٢) يقصدون بهما أبا بكر وعمر رضوان الله عليهما.

(٣) ميثم البحراني: شرح نهج البلاغة: ٤/ ٩٨.

(٤) ومن أمثلة هذه النصوص المسمومة ما رواه الكليني عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن الشيخين ـ أبا بكر وعمر ـ فارقا الدنيا ولم يتوبا و لم يذكرا =

= ما صنعا بأمير المؤمنين عليه السلام، فعليهما لعنة الله والملائكة والناس أجمعين». الكليني: روضة الكافي: ٨/ ٢٤٦. وجاء في كتب القوم لَعْنُهما واختلاق أدعية خاصة للعْنِهما، ورتّبوا على ذلك أعظم الثواب! من ذلك (دعاء صنمي قريش) وفيه: (اللهمَّ العن صنمي قريش وجبتيها وطاغوتيها وإفكيها، وابنتيهما اللذين خالفا أمرك وأنكرا وحيك . . .إلخ». وهكذا يستمر في سرد الافتراءات عليهما، ثم يقول: (اللهمَّ عذِّبهم عذاباً يستغيث منه أهل النار. آمين رب العالمين) أربع مرات». وهكذا صارت الصلاة محلّ الشتم والسب واللعن!!. وذكر مؤرِّخ كتب الشيعة محمد محسن (آقا بزر الطهراني) في كتابه (الذريعة) أن لهذا الدعاء شرحاً فارسياً وهو «(ذخر العاملين في شرح دعاء الصنمين) أي: صنمي قريش المذكور..وهما اللات والعزى (أبو بكر وعمر) للمولى محمد مهدي بن المولى على أصغر بن محمد يوسف القزويني، ألّفه باسم الشاه سلطان حسين الصفوي». وقد شرح المجلسي هذا الدعاء المسموم، وأثنى بعض مراجع الشيعة (الآيات) على هذا الدعاء.

أما عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ففي أصول الكافي: «قال لَهَا الحُسَيْنُ عليه السلام: قَدِيماً هَتَكْتِ أَنْتِ وَأَبُوكِ حِجَابَ رَسُولِ الله ﷺ وَأَدْخَلْتِ عَلَيْهِ بَيْتَهُ مَنْ لا يُحِبُّ قُرْبَهُ، وَإِنَّ الله سَائِلُكِ عَنْ ذَلِكِ يَا عَائِشَةُ» أصول الكافي: ١/ ٣٥٧، كتاب: الحجة، بَابُ: الإِشَارَةِ وَالنَّصِّ عَلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، أشار المحقق إلى ضعفه.

وهناك روايات في ذمِّ عموم الصحابة: «إن الناس عادوا بعدما قبض رسول الله ﷺ أهل جاهلية، وإن الأنصار اعتزلت فلم تعتزل بخير، جعلوا يبايعون سعداً وهم يرتجزون أرجاز الجاهلية». الكافي: ٨/ =

فإن استحال تعليل تلك الروايات التي تمتدح الصحابة الكرام بالتقية، اختلفوا في أسلوب ردّها اختلافاً كبيراً، ولعلَّ هذا الاختلاف أظهر دليل على بطلان موقفهم من هذه النصوص.

وعلى سبيل المثال: **حقيقة زواج عمر من أم كلثوم ابنة علي وفاطمة ﵄.**

لما نظر هؤلاء في الروايات الصحيحة التي تؤكد هذا الزواج، لم يكن لهم أن يكذّبوا التاريخ فينكروا الواقعة، ولذلك أخذوا في تفسيرها تفسيراً يسيء في ظنهم إلى عمر ﵁، وهو في الحقيقة

= ٢٩٥. وانظر: بحار الأنوار ٣٥/ ٣٤٧، ٣٤٨. ويقول ابن مطهر الحلي عن خالد بن الوليد ﵁: «سموا خالد بن الوليد سيف الله عناداً لأمير المؤمنين ﵇ الذي هو أحق بهذا الاسم؛ حيث قتل بسيفه الكفار ...وقال ﵇ على المنبر: أنا سيف الله على أعدائه، ورحمته لأوليائه، وخالد لم يزل عدواً لرسول الله مكذّباً له، وهو كان السبب في قتل المسلمين في يوم أُحد، وفي كسر رباعية النبي ﷺ وفي مقتل حمزة عمه» الحلي: منهاج الكرامة، ص٧٩، ٨٠، وهكذا يحاسب ابن مطهر الحلي خالد بن الوليد على ما كان منه في أيام الجاهلية، مع أن الإسلامُ يجبُّ ما قبله.
هذه نصوص ذكرتها للتمثيل لموقف دعاة التفرقة من صحابة النبي ﷺ، ولولا خشية أن أتهم بالافتراء ما ذكرتها، وأمثالها وأفظع منها كثير كثير، أنزّه القارئ عن النظر إليها أو سماعها.

يسيء إلى بطل بدر والخندق، وفدائي الإسلام الأول علي رضي الله عنه قبل أن يسيئوا إلى عقول كل من يقرأ تفسيراتهم الغريبة المتناقضة:

ـ فقد ذكروا رواية عن جعفر الصادق حين سئل عن هذا الزواج الميمون، فقال: «**إن ذلك فَرْجٌ غُصِبْناه**»[1]!. وهو جواب فظيع منكر، وعليٌّ أكرم وأشجع وأكبر.

ـ ولذلك جاءت روايات أخرى لتقول: إن علياً رضي الله عنه «**بعث مكانها جِنِّية من جن نجران، وأخفى أم كلثوم حتى مات عمر، فذهبت الجنية، وأخرج عليٌّ أم كلثوم**»[2]. قال المجلسي بعد أن ساق هذه الرواية: «هذه الأخبارِ لا تنافي ما مرّ من قصة الجنية؛ لأنها قصة مخفية أطلعوا عليها خواصَّهم، ولم يكن يتم به الاحتجاج على المخالفين»[3].

ـ ثم جاء أخيراً من يقول: إنه لم يكن من أمر هذا الزواج سوى العقد، وأن عمر رضي الله عنه لم يدخل بها[4].

---

(١) الكليني: الكافي: ٥/٣٤٦، بحار الأنوار: ٤٢/١٠٦، وسائل الشيعة: ٢٠/٥٦٢.

(٢) المجلسي: بحار الأنوار: ٤٢/١٠٦.

(٣) المصدر السابق: ٤٢/١٠٦، ١٠٧.

(٤) علي الحسيني الميلاني: تزويج أم كلثوم من عمر (سلسلة الأبحاث العقائدية رقم ٢٩) ص٣٥، مركز الأبحاث العقائدية.

فهل تغيّر تلك المبررات من الحقيقة شيئاً؟ وهل يستطيع المرء حَجْبَ الشمس بالغربال؟

إن التاريخ يؤكد لنا ثبوت هذا الزواج بين عمر وأم كلثوم، بل يثبت ما جاء بعده من الحمل والوضع، حيث أنجبت أم كلثوم من عمر ولدين أحدهما زيد بن عمر، وثانيهما رقية بنت عمر[1].

روى الطوسي عن جعفر الصادق عن أبيه الباقر رحمهما الله أنه قال: «ماتت أم كلثوم بنت علي وابنها زيد بن عمر بن الخطاب في ساعة واحدة، لا يُدرى أيهما هلك قبلُ، فلم يورث أحدهما من الآخر، وصُلِّي عليهما جميعاً»[2].

وما يضيرهم أن يعترفوا بالمودة بين الصحب والآل ويقروا بما ثبت تاريخياً من أن عمر رضي الله عنه أراد الاقتراب من نسب النبي ﷺ فتزوج أم كلثوم رضي الله عنها، لما ثبت من قول النبي ﷺ عند أهل السنّة والشيعة: **(كل نَسَبٍ وصِهْرٍ ينقطع يوم القيامة إلا صهري ونسبي)**[3].

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٣/ ٢٦٥.

(٢) الطوسي: تهذيب الأحكام: ٩/ ٢٦٢، كتاب: الميراث، باب: ميراث الغرقى والمهدوم.

(٣) انظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٨/ ٤٦٣. كنز العمال: ١١/ ٤٠٩. ابن حجر الإصابة: ٨/ ٤٦٥، وعند الشيعة: بحار الأنوار: ٧/ ٢٣٨.

ففي رواية اليعقوبي: «خطب عمر إلى علي بن أبي طالب أم كلثوم بنت علي، وأمها فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فقال علي: إنها صغيرة! فقال: إني لم أرد حيث ذهبت. لكني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**كل نسب وسبب ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي وصهري**)، فأردت أن يكون لي سبب وصهر برسول الله ﷺ، فتزوجها وأمهرها عشرة آلاف دينار»[١].

ومن العجب إنكار حقائق التاريخ، وإنكار ما سطّره أئمة الشيعة في كتبهم، فقد ذكرت بعض مصادرهم ـ علاوة على زواج عمر من أم كلثوم رضي الله عنها وإنجابها منه ـ: اعتدادها بعد وفاته.

فقد رَووا عن سليمان بن خالد أنه قال: «سألت أبا عبد الله [عليه السلام] ـ جعفر الصادق ـ عن امرأة توفي زوجها أين تعتد؟ في بيت زوجها أو حيث شاءت؟ قال: بلى حيث شاءت، ثم قال: إن علياً لمّا مات عمر أتى أم كلثوم فأخذ بيدها فانطلق بها إلى بيته»[٢].

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٤٩، ١٥٠.

(٢) الكليني: فروع الكافي: ٦/ ١١٥،١١٦ كتاب: الطلاق، باب: المتوفى عنها زوجها، وانظر: الطوسي: الاستبصار: ٣/ ٣٥٣، كتاب: الطلاق، أبواب العدة، باب المتوفى عنها زوجها، ورواها في: تهذيب الأحكام: ٨/ ١٦١، باب: في عدة النساء.

آل البيت ينهلون من معين الصحابة:

وكذلك أخذ علماء أهل البيت عن علماء الصحابة والتابعين، **فالعلم رحم بين أهله.**

كان ابن عباس ﷺ ـ وهو من آل النبي ﷺ ـ «إذا بلغه حديث عن صحابي ذهب إليه، فإذا رآه قائلاً ـ أي نائماً في القيلولة ـ توسَّد رداءه على بابه، فتسْفي الريحُ الترابَ على وجهه، حتى يخرج فيقول: ألا أرسلت إليّ فآتيك؟ فيقول له ابن عباس ﷺ: أنا أحقُّ أن آتيك»[1].

فآل البيت «إنما كانوا يتعلمون حديث جدِّهم ﷺ من العلماء به كما يتعلم سائر المسلمين، وهذا متواتر عنهم، فعلي بن الحسين يروي تارة عن أبان بن عثمان بن عفان عن أسامة بن زيد قول النبي ﷺ (**لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم**) رواه البخاري ومسلم في الصحيحين، وسمع من أبي هريرة قول النبي ﷺ: (**من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكلِّ عضو منها عضواً من النار حتى فَرْجَه بفَرْجِه**) أخرجاه في الصحيحين، ويروي عن ابن عباس ﷺ عن رجال من الأنصار ..، وأبو جعفر محمد بن علي

(١) ابن حجر الهيتمي: الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة: ٢/ ٦٨٢.

يروي عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه حديث مناسك الحج الطويل، وهو أحسن ما روي في هذا الباب، ومن هذه الطريق رواه مسلم في صحيحه من حديث جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر»[١].

ومن أطرف ما في هذا الباب ما رواه «جعفر بن محمد عن أبيه عن يزيد بن هرمز: أن نجدة كتب إلى ابن عباس يسأله عن خَمْس خِلال، فقال ابن عباس: لولا أن أكتم علماً ما كتبت إليه. كتب إليه نجدة: أما بعد فأخبرني هل كان رسول الله ﷺ يغزو بالنساء؟ . . .»[٢]. وهذا الحديث يدلّ أيضاً على حُسن العلاقة بين آل بيت النبي ﷺ جميعاً، فهنا يروي جعفر عن محمد بسندٍ عن ابن عباس وهو أحد أعمامه، كما تدل هذه الرواية على إنصاف الإمامين جعفر ومحمد، إذ يرويان حديثاً موضوعه حول الفرقة التي قتلت جدَّهما علي رضي الله عنه، وهي الخوارج.

قال محسن العاملي في أعيان الشيعة عن جعفر: «أسند جعفر عن أبيه، وعن عطاء بن رباح وعكرمة وعبد الله بن أبي رافع، وعبد الرحمن بن القاسم وغيرهم»[٣].

---

(١) ابن تيمية: منهاج السنّة النبوية: ٢/ ٤٥٤ ـ ٤٥٦.

(٢) صحيح مسلم، كتاب: الجهاد، باب: النساء الغازيات يرضخ لهن، رقم ١٨١٢.

(٣) العاملي: أعيان الشيعة. ولكنه هوّن من ذلك، إذ لم يعجبه، ولم يجر على وفق هواه، فقال: «إنما كان لبعض المصالح». شِنْشِنةٌ أعرِفها من أخزم.

وقال زين العابدين عن سعيد بن جبير، الإمام التابعي العالم الشهيد الذي قتله الحجاج: «ذلك رجل كان يمرّ بنا فنسأله عن الفرائض وأشياء مما ينفعنا الله بها، إنه ليس عندنا ما يرمينا به هؤلاء، وأشار بيده إلى العراق»[١].

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥/٢١٦. دار صادر ـ بيروت.

الفصل الثالث

التسامح في منهج الصحب والآل، والتشدد عند غيرهم

إن التسامح بين أصحاب المذاهب والآراء المختلفة مما حضَّ عليه الإسلام، حيث علَّمنا شرف الخصومة وأدب الاختلاف، ولقد كان أصحاب البيت الواحد من السلف الصالح يختلفون في مذاهبهم السياسية دون أن يكفّر بعضهم بعضاً، قال محمد بن طلحة بن مصرف: ما كان بالكوفة من أب وأخ أشدّ تَحابُبَاً من طلحة بن مصرف وزبيد اليامي، كان طلحة عثمانياً وكان زبيد علوياً»[1].

وقد تعلّمت الأمة هذا الأدب من الصحابة الكرام رضي الله عنهم، فقد كانوا يختلفون، ولكن لا ينسون الفضل بينهم، فقد كان زيد بن

---

(١) تهذيب التهذيب: ٣/ ٢٦٨.

ثابت رضي الله عنه عثمانياً، ولم يشهد مع علي شيئاً من حروبه، وكان يُظهر فضل علي وتعظيمه(١).

عن يزيد بن هرمز قال: «كتب نجدة بن عامر الحروري - أحد زعماء الخوارج - إلى ابن عباس يسأله عن العبد والمرأة يحضران المغنم هل يقسم لهما؟ وعن قتل الوِلْدان؟ وعن اليتيم متى ينقطع عنه اليتمُ؟ وعن ذوي القربى مَنْ هم؟.

فقال ليزيد: اكتب إليه، فلولا أن يقع في أحموقة ما كتبت إليه. اكتب: إنك كتبت تسألني عن المرأة والعبد يحضران المغنم هل يقسم لهما شيء؟ وإنه ليس لهما شيء إلا أن يُحْذَيا.

وكتبت تسألني عن قتل الوِلْدان؟ وإن رسول الله ﷺ لم يقتلهم، وأنت فلا تقتلهم، إلا أن تعلم منهم ما علم صاحب موسى من الغلام الذي قتله.

وكتبت تسألني عن اليتيم متى ينقطع عنه اسم اليُتم؟ وإنه لا ينقطع عنه اسم اليتم حتى يبلغ ويؤنس منه رشد.

وكتبت تسألني عن ذوي القربى مَنْ هم؟ وإنا زعمنا أنّا هُم، فأبى ذلك علينا قومنا»(٢).

---

(١) أُسدُ الغابة: ١/ ٣٩٣.

(٢) صحيح مسلم، كتاب: الجهاد، باب: النساء الغازيات يرضخ لهن، رقم (١٨١٢).

وهذا الحديث يبيّن لنا شفقة الصحابة على الأمة، ولو كانوا من الخوارج، فالواجب نصحهم وإرشادهم. وواقعة محاورة ابن عباس للخوارج مشهورة. حيث رد منهم آلافاً إلى مذهب الحق[1].

---

(١) جاء في تاريخ الإسلام، للإمام الذهبي: (١/ ٤٧٦): «قال عكرمة بن عمار: حدثني أبو زميل أن ابن عباس قال: لما اجتمعت الخوارج في دارها، وهم ستة آلاف أو نحوها قلت لعلّي: يا أمير المؤمنين أبْرِدْ بالصلاة لعلّي ألقى هؤلاء القوم، فقال: فإني أخافهم عليك، قلت: كلا. قال: فلبس ابن عباس حلتين من أحسن الحلل وكان جهيراً جميلاً، قال: فأتيت القوم فلما رأوني قالوا: مرحباً بابن عباس، وما هذه الحلة؟ قلت: وما تنكرون من ذلك، لقد رأيت على رسول الله حلة من أحسن الحلل قال: ثم تلوت عليهم: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾ [الأعراف: ٣٢]. قالوا: فما جاء بك؟ قلت: جئتكم من عند أمير المؤمنين ومن عند أصحاب رسول الله ﷺ، ولا أرى فيكم أحداً منهم، ولأبلغنكم ما قالوا، ولأبلغنهم ما تقولون، فما تنقمون من ابن عمّ رسول الله وصهره؟ فأقبل بعضهم على بعض فقالوا: لا تكلّموه فإن الله يقول: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزّخرُف: ٥٨] وقال بعضهم: ما يمنعنا من كلامه؟ ابن عمّ رسول الله ويدعونا إلى كتاب الله، قال: فقالوا: ننقم عليه ثلاث خلال: إحداهن: أنه حكّم الرجال في دين الله، وما للرجال ولحكم الله؟! والثانية: أنه قاتل فلم يَسْبِ ولم يغنم، فإن كان قد حل قتالهم فقد حل سبيهم وإلا

ومما ينبغي أن يكون واضحاً لدى كل الساعين في وحدة

= فلا، والثالثة: محا نفسه من أمير المؤمنين، فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير المشركين.
قلت: هل غير هذا؟ قالوا: حسبنا هذا. قلت: أرأيتم إن خرجت لكم من كتاب الله وسنّة رسوله أراجعون أنتم؟ قالوا: وما يمنعنا؟ قلت: أما قولكم: إنه حكَّم الرجال في أمر الله فإني سمعت الله يقول في كتابه: ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [المائدة: ٩٥] وذلك في ثمن صيد أرنب أو نحوه قيمته ربع درهم فوض الله الحكم فيه إلى الرجال، ولو شاء أن يحكم لحكم. وقال: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ﴾ [النساء: ٣٥] الآية. أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم. قلت: وأما قولكم: قاتل فلم يسبِ؛ فإنه قاتل أمكم، لأن الله يقول: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦] فإن زعمتم أنها ليست بأمكم فقد كفرتم، وإن زعمتم أنها أمكم فما حلَّ سباؤها. فأنتم بين ضلالتين. أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم. قال: وأما قولكم: إنه محا اسمه من أمير المؤمنين؛ فإني أنبئكم عن ذلك: أما تعلمون أن رسول الله يوم الحديبية جرى الكتاب بينه وبين سهيل بن عمرو فقال: يا علي! اكتب: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله، فقالوا: لو علمنا أنك رسول الله ما قاتلناك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك. فقال: اللهمّ إنك تعلم أني رسولك، ثم أخذ الصحيفة فمحاها بيده ثم قال: يا علي اكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله. فوالله ما أخرجه ذلك من النبوّة. أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم. قال: فرجع ثلثهم وانصرف ثلثهم، وقتل سائرهم على ضلالة».

الأمة وإزالة آثار الطائفية البشعة أن كلّ زيديّ وإمامي وإباضي لن يصبح سنّياً، وكذلك كلّ سنيٍّ لن يصبح إمامياً ولا إباضياً أو زيدياً، ولو جنّد كل حزب منهم كلّ قواه العلمية وقواه السياسية والعسكرية، وهم إن فعلوا ذلك فسوف يجدّدون بروز ظاهرة النفاق التي كانت في عصر النبي ﷺ، أو ظاهرة التقية في عصر الأمويين؛ لأن كل طائفة تعتقد أنها على الحق، وأن ما سواها على خطأ، أو على باطل.

وإنما المطلوب الإقرار بضرورة التعايش السلمي وحُسن الجوار ابتداءً[1]. ثم التركيز على القضايا المجمع عليها بين طوائف المسلمين جميعاً، والتغافل عن القضايا الفرعية الخلافية، وعدم إثارتها والتحريش بها بين عامة المسلمين.

ولا يجوز طرح هذه المسائل الفرعية إلا في دوائر علمية هادئة يجمع أهلها بين الإخلاص للحق والتمكن العلمي، بعيداً عن المجاملات الجوفاء والمؤثّرات الخارجية (السياسية، أو الدينية بتدخل المراجع والشيوخ، أو موروثات العوام..إلخ).

وتشهد بعض الروايات الاثني عشرية أن الأئمة كانوا يوصون بحُسن معاشرة من خالف مذهبهم:

(١) انظر: د.عداب محمود الحمش: المهدي المنتظر في روايات أهل السنّة والشيعة الإمامية. دراسة حديثية نقدية، ص٤٠٩.

«عن معاوية بن وهب قال: قلت لأبي عبد الله [عليه السلام]: **كيف ينبغي لنا أن نصنع فيما بيننا وبين قومنا وفيما بيننا وبين خلطائنا من الناس [وفي رواية مصححة: خلطائنا من الناس ممن ليسوا على أمرنا]؟ قال: فقال: تؤدون الأمانة إليهم وتقيمون الشهادة لهم وعليهم، وتعودون مرضاهم وتشهدون جنائزهم**»(١).

وعن أبي أسامة زيد الشحام قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: اقرأ على من ترى أنه يطيعني منهم ويأخذ بقولي السلام، وأوصيكم بتقوى الله عزَّ وجلَّ والورع في دينكم، والاجتهاد لله وصدق الحديث، وأداء الأمانة وطول السجود وحُسن الجوار. بهذا جاء محمد ﷺ، أدوا الأمانة إلى من ائتمنكم عليها براً أو فاجراً، فإن رسول الله ﷺ كان يأمر بأداء الخيط والمخيط، **صِلوا عشائركم واشهدوا جنائزهم وعودوا مرضاهم وأدوا حقوقهم، فإن الرجل منكم إذا وَرِعَ في دينه وصدق الحديث وأدى الأمانة وحَسُنَ خُلقه مع الناس قيل: هذا جعفري. فيسرني ذلك ويدخل علي منه السرور، وقيل: هذا أدب جعفر. وإذا كان على غير ذلك دخل علي بلاؤه وعاره، وقيل: هذا أدب جعفر.**

---

(١) أصول الكافي: ٢/٥٩٩، كتاب: العشرة، باب: ما يجب من المعاشرة، قال محققه: الحديث صحيح.

فوالله! لحدَّثني أبي عليه السلام أن الرجل كان يكون في القبيلة من شيعة علي عليه السلام فيكون زينها؛ آداهم للأمانة وأقضاهم للحقوق، وأصدقهم للحديث، إليه وصاياهم وودائعهم، تسأل العشيرة عنه فتقول: من مثل فلان؟ إنه لآدانا للأمانة وأصدقنا للحديث»[١].

في حين تذكر بعض الروايات ضيق صدور الأتباع المتعاطفين مع الأئمة، وتشددهم ولعنهم بعضهم بعضاً، مع أن الأئمة جاؤوا بالتسامح حتى مع مَنْ خالفهم، فكان أولئك الأتباع ملكيّين أكثر من الملك:

عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ الضَّحَّاكِ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِنَا سَرَّاجٍ، وَكَانَ خَادِماً لأَبِي عَبْدِاللهِ عليه السلام قَالَ: بَعَثَنِي أَبُو عَبْدِ اللهِ عليه السلام فِي حَاجَةٍ وَهُوَ بِالْحِيرَةِ أَنَا وَجَمَاعَةً مِنْ مَوَالِيهِ. قَالَ: فَانْطَلَقْنَا فِيهَا ثُمَّ رَجَعْنَا مُغْتَمِّينَ. قَالَ: وَكَانَ فِرَاشِي فِي الْحَائِرِ الَّذِي كُنَّا فِيهِ نُزُولاً، فَجِئْتُ وَأَنَا بِحَالٍ فَرَمَيْتُ بِنَفْسِي. فَبَيْنَا أَنَا كَذَلِكَ إِذَا أَنَا بِأَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَدْ أَقْبَلَ قَالَ فَقَالَ: قَدْ أَتَيْنَاكَ أَوْ قَالَ: جِئْنَاكَ. فَاسْتَوَيْتُ جَالِساً، وَجَلَسَ عَلَى صَدْرِ فِرَاشِي فَسَأَلَنِي عَمَّا بَعَثَنِي لَهُ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَحَمِدَ اللهَ، ثُمَّ جَرَى ذِكْرُ قَوْمٍ فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ! **إِنَّا نَبْرَأُ مِنْهُمْ، إِنَّهُمْ لا يَقُولُونَ مَا نَقُولُ.**

---

(١) أصول الكافي: ٢/ ٦٠٠، كتاب: العشرة، باب: ما يجب من المعاشرة، قال محققه: الحديث صحيح.

قَالَ: فَقَالَ: يَتَوَلَّوْنَا وَلا يَقُولُونَ مَا تَقُولُونَ تَبْرَؤُونَ مِنْهُم؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَهُوَ ذَا عِنْدَنَا، مَا لَيْسَ عِنْدَكُمْ فَيَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَبْرَأَ مِنْكُمْ؟ قَالَ: قُلْتُ: لا، جُعِلْتُ فِدَاكَ. قَالَ: وَهُوَ ذَا عِنْدَ الله مَا لَيْسَ عِنْدَنَا أَفَتَرَاهُ اطَّرَحَنَا؟ قَالَ: قُلْتُ: لا وَالله! جُعِلْتُ فِدَاكَ، مَا نَفْعَلُ؟

قَالَ: **فَتَوَلَّوْهُمْ وَلا تَبَرَّؤوا مِنْهُمْ، إِنَّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ لَهُ سَهْمٌ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ سَهْمَانِ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ ثَلاثَةُ أَسْهُمٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ أَرْبَعَةُ أَسْهُمٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ خَمْسَةُ أَسْهُمٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ سِتَّةُ أَسْهُمٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ سَبْعَةُ أَسْهُمٍ**»[(١)].

وعَنْ مَنْصُورِ بْنِ حَازِمٍ قَالَ: قُلْتُ لأَبِي عَبْدِ الله عليه السلام: مَنْ شَكَّ فِي رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِه؟ قَالَ: كَافِرٌ؟ قُلْتُ: فَمَنْ شَكَّ فِي كُفْرِ الشَّاكِّ فَهُوَ كَافِرٌ؟ فَأَمْسَكَ عَنِّي، فَرَدَدْتُ عَلَيْهِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، فَاسْتَبَنْتُ فِي وَجْهِهِ الْغَضَبَ»[(٢)].

وهذا السؤال الذي طرح على الإمام يصاغ اليوم بمقولة

---

(١) أصول الكافي: ٢/ ٤٨ كتاب: الإيمان والكفر، باب: درجات الإيمان، وله حديث قبله يشبهه في تقسيم الإيمان إلى سبع درجات، وهو صحيح. أما هذا الحديث فقال عنه المحقق: والحديث مجهول.

(٢) أصول الكافي: ٢/ ٣٦٩ كتاب: الإيمان والكفر، باب: الكفر، وقال محققه: والحديث حسن كالصحيح.

تكفيرية واضحة: (من لم يكفِّر الكافر فهو كافر)! والنبي ﷺ يقول: «**أيما رجل قال لأخيه: يا كافر! فقد باء بها أحدهما**»[1].

وتُظهر لنا الروايات صراعاً داخلياً بين الأئمة وأتباعهم، فعن زرارة قال: دخلت أنا وحمران أو أنا وبكير على أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: إنا نمد المطمار قال: وما المطمار؟ قلت: التُّر[2]، **فمن وافقنا من علوي أو غيره توليناه، ومن خالفنا من علوي أو غيره برئنا منه.**

فقال لي: يا زرارة! قول الله أصدق من قولك، فأين الذين قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾﴾ [النساء: ٩٨].

أين المرجون لأمر الله؟ أين الذين ﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري: باب: من أكفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال، رقم٥٧٥٣، وأخرجه مسلم: كتاب: الإيمان، باب: بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم: يا كافر رقم(٦٠).

(٢) المطمار بالمهملتين خيط للبناء يقدر به، وكذا التر بضم المثناة الفوقية والراء المشددة. قال المحقق: **والمعنى أن المقياس الذي نزن به الناس هو ولايتنا لأهل البيت، فمن كان على مذهبنا فيه أحببناه وعظمناه ونصرناه، ومن كان على مذهب غيرنا أبغضناه وحقرناه وخذلناه وتبرأنا منه.**

سَيِّئًا﴾ [التّوبَة: ١٠٢]؟ **أين أصحاب الأعراف؟ أين المؤلفة قلوبهم؟! وزاد حماد في الحديث قال: فارتفع صوت أبي جعفر عليه السلام وصوتي حتى كان يسمعه من على باب الدار»**(١).

فهذا الحديثُ يظهر لنا تسامح الأئمة مع من خالفهم، فلم يكفّروهم ولم يتبرؤوا منهم، في حين يظهر تعصب الأتباع بحيث يسوقون من خالفهم سوقاً واحداً.

تُرى أي الرأيين أولى بالاتباع؟!

ويكفي للبشارة لجميع المسلمين ما ورد في روايات القوم «عن أبي عبد الله عليه السلام عن أبيه، عن جده، عن علي عليه السلام قال: إن للجنة ثمانية أبواب، باب: يدخل منه النبيُّون والصدّيقون، وباب: يدخل منه الشهداء والصالحون، وخمسة أبواب: يدخل منها شيعتنا ومحبُّونا، فلا أزال واقفاً على الصراط، أدعو وأقول: رب! سلّم شيعتي، ومحبّيّ، وأنصاري، ومن تولاني في دار الدنيا، فإذا النداء من بُطنان العرش: قد أجيبت دعوتك، وشفعت في شيعتك، ويشفع كلّ رجل من شيعتي ومن تولاني ونصرني وحارب من حاربني بفعل أو قول في سبعين ألفاً من جيرانه

---

(١) أصول الكافي: ٢/ ٣٦٥ كتاب: الإيمان والكفر، باب: أصناف الناس، قال محققه: الحديث حسن كالصحيح.

وأقربائه، وباب: **منه يدخل سائر المسلمين، ممن يشهد أن لا إله إلا الله، ولم يكن في قلبه مقدار ذرة من بغضنا أهل البيت»**(١).

ومن النصوص الدالة على نجاة المخالفين أيضاً: عن محمد الباقر قال: «**صلِّ على مَنْ مات من أهل القبلة، وحسابه على الله**».

وما رواه الأئمة عن رسول الله ﷺ: «**صلّوا على المرجوم من أمتي، وعلى القاتل نفسه من أمتي، لا تدعوا أحداً من أمتي بلا صلاة**»(٢).

وواضح جلي أن من صُلِّي عليه من المسلمين رُجي له دخول الجنة، والبعد عن النار.

و«**عن جعفر عن أبيه أنّ علياً [عليه السلام] لم يكن ينسب أحداً من أهل حربه إلى الشّرك، ولا إلى النّفاق، ولكنّه يقول: هم بغوا علينا**»(٣).

---

(١) بحار الأنوار: ٨/ ٣٩ نقلاً عن أمالي الصدوق، ص ٣٩، وانظر: ميرزا محمد تقي الأصفهاني: مكيال المكارم: ١/ ٤٣٩. وجعفر سبحاني: في ظلال التوحيد، ص ٥٥٦.

(٢) مركز المصطفى: موقف الإسلام الصارم من ناصبي العداء للنبي ﷺ، ص ٢٠٤ ـ ٢٠٦: عن كتاب: الحدائق الناضرة: ١٠/ ٤٣.

(٣) انظر: قرب الإسناد، ص ٦٢، وسائل الشّيعة: ١١/ ٦٢.

وقد رأينا علياً رضي الله عنه يصلّي على مَنْ مات من مخالفيه في الجمل وصفّين. عن ميمون بن مهران قال: «مرّ علي برجل مقتول يوم صفّين، ومعه الأشتر، فاسترجع الأشتر، فقال عليٌّ: ما لك؟ قال: هذا حابس اليماني عهدتُه مؤمناً ثم قتل على ضلالة، قال علي رضي الله عنه: والآن هو مؤمن»[(١)].

وعن الحسن قال: لَمّا قَتل عليٌّ الحرورية قالوا: من هؤلاء يا أمير المؤمنين! أكفّارٌ هم؟ قال: من الكفر فرّوا، قيل: فمنافقون؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً، وهؤلاء يذكرون الله كثيراً، قيل: فما همّ؟! قال: أصابتهم فتنة فعمُوا وصمّوا»[(٢)].

اللهمَّ! إن الجنة جنتك، وإن النار نارك، تدخل فيهما من تشاء، والحمد لك إذ لم تسلّط أحداً من خلقك على اختيار أهل الجنة والنار، فلو حكّمتَ بعض روايات الاثني عشرية وآراء الخوارج والمعتزلة في الجنة والنار، لضيّقوا واسع رحمتك التي وسعت كل شيء، وأنت القائل:

﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ

---

(١) المتقي الهندي: كنز العمال، رقم (٣١٧١١).

(٢) المصدر السابق: فتن الخوارج، رقم (٣١٥٦٨).

عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِى وَسِعَتۡ كُلَّ شَىۡءٍۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلۡأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِى ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف: ١٥٦، ١٥٧].

اللهمَّ! اجعل المسلمين جميعاً منهم.



خاتمة البحث:

الكف عن أذى الصحابة الكرام مقتضى الكتاب والسنة وجمع لكلمة الأمة الإسلامية ومحو للطائفية

إن النصوص القرآنية والنبوية واضحة الدلالة على مكانة أصحاب النبي ﷺ، رضوان الله عليهم أجمعين.

ومن الآيات الصريحة في بيان مكانة الصحابة قوله تعالى:

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: ٢٩].

وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة: ١٤٣].

وقوله سبحانه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقوله سبحانه: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [التوبة: ١١٧].

وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢].

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأنفال: ٦٤].

و«كفى فخراً لهم أن الله تبارك وتعالى شهد لهم بأنهم خير الناس، حيث قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ﴾» [آل عمران: ١١٠][(١)].

---

(١) ابن حجر: الصواعق المحرقة، ص٤.

وقد جاءت وصية النبي ﷺ للأمة من بعده باحترام صحابته الكرام، في قوله:

(لا تسبُّوا أصحابي، فلو أنّ أحدكم أنفق مثل أُحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدهم ولا نَصِيفَه)[1].

وهذه النصوص وإن كانت لا تعني عصمة الصحابة رضي الله عنهم، فإنها تدعو لتوقيرهم واحترامهم، والدعاء لهم وذكر حسناتهم، والغضّ والاستغفار لزلّاتهم رضي الله عنهم؛ تصديقاً واتباعاً لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

إن سيدنا محمداً ﷺ هو خير الرسل، ولذلك كانت أمته خير الأمم، قال تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾ [آل عِمران: ١١٠]، ولذلك كان صحبه رضوان الله عليهم خير الأمة وسادتها، فقد اختارهم

---

(١) أخرجه البخاري، باب: مناقب المهاجرين وفضلهم، ومسلم، باب: تحريم سبّ الصحابة، وأخرجه الترمذي رقم (٣٩٥٢)، أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ، وأبو داود، رقم (٤٦٥٨)، وابن ماجه باب: في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ، وأحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري ٣/ ١١، وغيرهم.

الله تعالى لصحبة نبيِّه، وهذا مصداق ما قاله النبي ﷺ: (**خير أمتي القرن الذين بُعثت فيهم، ثم الذين يلونهم...**)»[١].

وقال ﷺ: «**إن الله اختارني واختار لي أصحاباً، فجعل لي بينهم وزراء وأنصاراً وأصهاراً، فمن سبَّهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يُقبل منه يوم القيامة صرف ولا عدل**»[٢].

وهناك أحاديث كثيرة صحيحة يبشّر النبيُّ ﷺ فيها بعض صحابته بالجنة، وأشهرهم العشرة الذين صاروا يعرَفون «**بالعشرة المبشرين بالجنة**»، وهم الذين بشّرهم الرسول ﷺ بالجنة في حديث واحد فقال: (**أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعليٌّ في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد في الجنة، وسعيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة**)[٣].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، رقم ٢٥٣٤. من حديث أبي هريرة.

(٢) الطبراني: المعجم الكبير: ١٧/ ١٤٠. مستدرك الحاكم: ٣/ ٧٣٢، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص. من حديث عويم بن ساعدة ﷺ. والصرف: التوبة، وقيل: النافلة. والعدل: الفدية، وقيل: الفريضة.

(٣) أخرجه الترمذي بسندٍ صحيح: كتاب: المناقب، باب: مناقب =

كما جاءت البشارة بفوز أهل بدر وأُحد، وأهل بيعة الرضوان، وغيرهم.

ناهيك عن البشارة لآل بيت النبي ﷺ؛ أزواجه وفاطمة والحسن والحسين وغيرهم.

فكيف تسرد إذن روايات تدّعي أن الصحابة بعد النبي ﷺ كانوا أهل ردة إلا عدداً لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة!![١].

= عبد الرحمن بن عوف، من حديثه ومن حديث سعيد بن زيد، رقم(٣٧٤٧)، وأخرجه ابن ماجه في الإيمان وفضائل الصحابة، باب: فضائل العشرة المبشرين بالجنة، وأخرجه أحمد في مسنده بسندٍ صحيح ١/ ١٨٧.

وقد كان عمر يعظِّم أمر هؤلاء المبشرين، ففي صحيح مسلم: عن عمر رضي الله عنه: «فإن عُجِل بي أمر فالخلافة شورى بين هؤلاء الستة الذين توفي رسول الله وهو عنهم راض». ومن المعلوم أنه جعل الخلافة شورى بين (عثمان، وعلي، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص) أما سعيد بن زيد، فلم يذكره لأنه من بني الخطاب، وأبو عبيدة بن الجراح كان قد توفي.

(١) عن حمران بن أعين قال: «قلت لأبي جعفر عليه السلام: جعلت فداك، ما أقلّنا لو اجتمعنا على شاة ما أفنيناها! فقال: ألا أحدّثك بأعجب من ذلك؟ المهاجرون والأنصار ذهبوا إلا ـ وأشار بيده ـ ثلاثة» أصول الكافي، كتاب: الإيمان والكفر، باب: قلّة عدد المؤمنين: ٢/ ٢٤٤، وانظر: رجال الكشّي، ص٧، بحار الأنوار: ٢٢/ ٣٤٥.

إن هذه النظرة الحاقدة على صحابة النبي ﷺ «ترى المجهودات الجبّارة التي بذلها محمد ﷺ خلال ثلاثة وعشرين عاماً لم تنتج إلا ثلاثة أشخاص أو أربعة وفقاً لبعض الروايات . . .أما غيرهم فقد قطعوا صِلَتهم فور وفاته ﷺ عياذاً بالله»[١].

فهل يدرك هؤلاء أن طعنهم بصحابة النبي ﷺ هو طعن بتعاليم النبي ﷺ ودعوته؟

فلو أن مدرّساً في فصل دراسي لم ينجح من تلامذته إلا ثلاثة أو أربعة من الطلاب، في حين رسب خمسون طالباً لانهال عليه النقد والتجريح، فكيف بالنبي ﷺ الأعظم وهو خاتم النبيين وأفضلهم، وهو الذي لم يأل جهداً في نصح قومه، مع كمال شفقته عليهم حتى خفف الله عنه قائلاً: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ۝٦﴾ [الكهف: ٦]، وقوله: ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾ [فاطر: ٨]، فيسلم منهم مئة ألف أو يزيدون، ثم بعد وفاته ينقلبون على أدبارهم! وفي مقدمتهم أولئك الذي هجروا أوطانهم، وصبروا على الجوع والضنك، وبذلوا الغالي والنفيس، وحاربوا الأهل والأحباب في سبيل رفعة هذا الدين، حتى مدحهم الله في كتابه

---

(١) أبو الحسن الندوي: صورتان متضادتان، ص٦٨.

بقوله: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأنفال: ٦٣، ٦٤].

وهم الذين مشى القرآن سارداً بطولاتهم من بدر بقوله: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [آل عمران: ١٢٣، ١٢٤].

وإلى أُحد والأحزاب بقوله: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [آل عمران: ١٣٩، ١٤٠].

وقوله: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾ [الأحزاب: ٢٣-٢٧].

أيُعقل أن لا يثبت من هؤلاء على الدين ـ على أحسن تقدير من هذه الروايات المزعومة ـ سوى بضعة أشخاص!!. إن هذا لو حصل ـ وحاشا أن يكون ـ لهدَم دعوة الإسلام ونبي الإسلام، ووحي الإسلام من أساسه.

«ومحال أن يتفق هؤلاء الصحابة على طي عَهْدٍ عَهِد به إليهم رسول الله ﷺ . . .إذ لو جاز ذلك لارتفع الأمان في كل ما نقلوه من القرآن والسنّة والأحكام، ولم يُجزم بشيء من أمور الدين، مع أنه بجميع أصوله وفروعه إنما أخذ منهم»(١).

«وكيف يتصور مسلم مثل هذا في ذلك الجيل القرآني الفريد الذين بذلوا المهج وهجروا الأهل الولد، وفارقوا الأوطان في سبيل الله وحده؟! ولمصلحة مَنْ، وفي سبيل مَنْ يضحّون بسابقتهم، وجهادهم، ويبيعون دينهم ودنياهم فيوافقوا أحداً على المساس بدينهم وكتابهم؟! إن هذا لبهتان عظيم»(٢).

عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «**يأتي على الناس**

---

(١) الأستاذ الدكتور السنهوتي: عقائد الإمامية الإثني عشرية وأصولها، رسالة دكتوراه في كلية دار العلوم، ص ١١٨، وانظر: ابن حزم: الفصل في الملل والنحل: ٤/ ٩٦، والصواعق المحرقة، ص١٧.

(٢) د. ناصر بن عبد الله بن علي القفاري: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية: ١/ ٣٦٠.

زمان يغزو فئام من الناس فيقال لهم: فيكم مَنْ رأى رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم. ثم يغزو فئام من الناس فيقال لهم: فيكم مَنْ رأى من صحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم. ثم يغزو فئام من الناس فيقال لهم: هل فيكم مَنْ رأى مَنْ صحب مَنْ صحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم. فيفتح لهم»[1]. وهذا الذي جرى في فتوح المسلمين بعد النبي ﷺ.

ورضي الله عن عبد الله بن مسعود وهو يصف لنا إخوانه من الصحابة قائلاً: **«أيها الناس من كان منكم مستنّاً فليستنّ بمن قد مات، فإن الحيّ لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد؛ كانوا والله! أفضل هذه الأمة وأبرّها قلوباً وأعمقها علماً، وأقلّها تكلّفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيِّه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم وتمسّكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم»**[2].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب: الجهاد، باب: من استعان بالضعفاء والصالحين في كتاب: الحرب، وفي الفضائل، باب: فضائل أصحاب النبي، رقم ٣٥٩٤، وصحيح مسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضل الصحابة ثم الذين يلونهم، رقم ٢٥٣٢، واللفظ لمسلم.

(٢) ابن تيمية: منهاج السنّة النبوية ٢/٧٦، ٧٧.

ولقد جاءت وصية النبي ﷺ تنهى عن سبِّ أصحابه، فقد قال ﷺ: (**لا تسبّوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده! لو أن أحدكم أنفق مثل أُحُدٍ ذهباً ما أدرك مُدّ أحدهم ولا نَصِيفه**)(١).

وإذا كان النبي ﷺ يشير إلى ترفُّع المؤمن عن اللعن والطعن والفحش عموماً بقوله: «**ليس المؤمن بالطعّان واللّعان ولا البذيء ولا الفاحش**»(٢). فكيف الحال إذا كان المشتوم صحابياً؟!

قال الإمام أحمد بن حنبل: «إذا رأيت أحداً يذكر أصحاب النبي ﷺ بسوء فاتهمه على الإسلام... ومن شتم أصحاب النبي ﷺ يعاقب ويحبس ...»(٣).

---

(١) حديث متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه كتاب: المناقب، باب: قول النبي ﷺ: لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر، رقم (٣٤٧٠)، ومسلم في كتاب: فضائل الصحابة، باب: تحريم سبّ الصحابة ﷺ، رقم (٢٥٤٠).

(٢) صحيح ابن حبان: ١/ ٤٢١ رقم (١٩١)، مؤسسة الرسالة ط٢، ١٤١٤ هـ = ١٩٩٣م. تحقيق شعيب الأرناؤوط، وأخرجه أحمد في مسند عبد الله بن مسعود ﷺ ١/ ٤٠٥.

(٣) ابن تيمية: الصارم المسلول على شاتم الرسول، ص ٤٣٥، تحقيق: حمزة النشرتي، عبد الحفيظ فرغلي، عبد الحميد مصطفى.

قال الإمام النووي: «واعلم أن سبَّ الصحابة حرام من فواحش المحرمات، سواء من لابَسَ الفتن منهم وغيره؛ لأنهم مجتهدون في تلك الحروب متأوّلون . . .قال القاضي: وسب أحدهم من المعاصي الكبائر، ومذهبنا ومذهب الجمهور أنه يعزر ولا يقتل، وقال بعض المالكية: يقتل»(١).

وقال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝١٠٠﴾ [التوبة: ١٠٠]: «قد أخبر الله العظيم أنه قد رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، فيا ويل من أبغضهم أو سبَّهم أو أبغض أو سبَّ بعضهم، ولا سيما سيدُ الصحابة بعد الرسول [ﷺ] وخيرهم وأفضلهم أعني الصديق الأكبر والخليفة الأعظم أبا بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه . . .»(٢).

«والواقع أن التشكيك في عدالة الصحابة رضي الله عنهم لا يُنتج إلا

---

(١) شرح صحيح مسلم: ١٦/ ٩٣ ـ ٩٤ ولكن يجب أن نعلم أن تنفيذ العقوبة بمن أساء إلى آل بيت النبي ﷺ أو الصحابة من اختصاص حكّام المسلمين، أما واجب أفراد الأمة فهو النصح والزجر.

(٢) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: ٢/ ٥٠٥.

التشكيك في الدين وأصوله، لأن الدين كله حتى القرآن الكريم لم يصل إلينا إلا بواسطة هؤلاء الصحابة، فلو ارتفعت الثقة عنهم ـ والعياذ بالله ـ لارتفع الأمان عن النصوص ولتزعزع بنيان الدين»[١].

هؤلاء الصحابة الكرام رضي الله عنهم الذين خاض فيهم الخائضون الهالكون قديماً وحديثاً هم الذين أثنى الله عليهم ورسوله بكلِّ خير، ورضي عنهم ووعدهم الحُسنى كما قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ

---

(١) تقي الدين العثماني: تكملة فتح الملهم بشرح صحيح مسلم: ٥/ ٣٥.

وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَـٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٢].

وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ [الأنفال: ٧٤].

وقال تعالى مبيِّناً ثواب السابقين من الصحابة: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠].

وقال تعالى مادحاً المهاجرين والأنصار ومن سار على دربهم:

﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

[الحشر: ٨-١٠].

هذه الآيات تتضمن الثناء بالخير على ثلاثة أصناف: على المهاجرين والأنصار، وعلى الذين جاؤوا من بعدهم ويستغفرون لهم، ويسألون الله أن لا يجعل في قلوبهم غلّاً لهم، ولا ريب أن مبغضي الصحابة خارجون عن الأصناف الثلاثة، فليسوا من المهاجرين، ولا الأنصار، **وليسوا ممن يستغفرون للمهاجرين والأنصار**، بل في قلوبهم غلّ عليهم[١].

وقد كان عليٌّ رضي الله عنه في حمأة حروبه إذا أراد أن ينتقص خصومه يعيب عليهم أنهم ليسوا من المهاجرين والأنصار، فالمهاجرون والأنصار إذن فوق التهمة عنده. يقول في خصومه: «جفاة طَغام، وعبيد أقزام، جُمّعوا من كل أوب، وتُلقِّطوا من كل شوب، ممن ينبغي أن يُفقّه ويؤدّب ويعلّم ويدرّب، ويولّى عليه ويؤخذ على يديه، **ليسوا من المهاجرين والأنصار**، ولا من الذين تبوّؤوا الدار»[٢]. فأمير المؤمنين علي رضي الله عنه في هذه الرواية يجعل المهاجرين والأنصار مثل المسلمين الأعلى.

في حين يتخذ اليوم بعض من ينسب نفسه إلى آل البيت،

---

(١) انظر حول هذا المعنى: ابن تيمية: منهاج السنّة النبوية ٢/ ١٧، ١٨.

(٢) نهج البلاغة، مع شرحها للشيخ محمد عبده ص٢٧٣. والطَّغام: أوغاد الناس، والأقزام: أراذل الناس، الشوب: الخلط.

وهو ليس كذلك، رواية ذود بعض الصحابة عن حوض النبي ﷺ[1] متكأً للقول بارتدادهم، وقد قال الخطابي: «إنما وقع ـ أي الارتداد ـ لبعض جفاة العرب، ولم يقع من أحد الصحابة المشهورين»[2].

وفي الحقيقة يشفق المرء على عقول هؤلاء الذين يسمعون هذه الروايات وأضعافها في ذم الصحابة كأبي بكر الخليفة الراشدي الأول رضي الله عنه وعمر الفاروق رضي الله عنه ناشر الإسلام وقاهر المجوس، والمهاجرين والأنصار، وتأخذه الحيرة في شأن هؤلاء العوام الذين يأخذون كتاب الكليني وسليم بن قيس مأخذ التصديق، دون تمحيص أو تفريقٍ بيت الغثّ والسمين، أو مقارنة بما ورد في

(١) وقد جاء تفصيل ذلك في كتب السنّة، ففي صحيح البخاري قال رسول الله ﷺ: «ألا وإنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: ! يا رب أصيحابي! فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٧]. فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم». كتاب: التفسير، باب: قوله تعالى: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٧] رقم (٤٣٤٩).

(٢) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٨/ ٢٨٦.

صحاح أهل السنّة عن هؤلاء الصحابة الكرام؛ من محبتهم لآل بيت النبي ﷺ وخدمتهم لهذا الدين ومحبة آل البيت لهم.

وقد قلت مرات عديدة في حوارات مع بعض هؤلاء: لو ثبت أن عمر ﷺ فعل هذه الأفاعيل المنكرة ـ كزعم تحريق بيت السيدة فاطمة والتسبب بإجهاضها، وحاشاه أن يفعل[١] ـ لكنت

---

(١) قال سليم بن قيس في كتابه: «... نادى عمر حتى أسمع علياً وفاطمة عليهما السلام: (والله لتخرجن يا علي ولتبايعن خليفة رسول الله وإلا أضرمت عليك بيتك النار) فقالت فاطمة عليها السلام: يا عمر! ما لنا ولك؟ فقال: افتحي الباب وإلا أحرقنا عليكم بيتكم فقالت: (يا عمر، أما تتقي الله تدخل عليَّ بيتي)؟ فأبى أن ينصرف. ودعا عمر بالنار فأضرمها في الباب ثم دفعه فدخل، فاستقبلته فاطمة عليها السلام وصاحت: (يا أبتاه يا رسول الله) فرفع عمر السيف وهو في غمده فوجأ به جنبها فصرخت: (يا أبتاه) فرفع السوط فضرب به ذراعها فنادت: (يا رسول الله، لبئس ما خلفك أبو بكر وعمر)... وقد كان قنفذ لعنه الله ضرب فاطمة عليها السلام بالسوط ـ حين حالت بينه وبين زوجها وأرسل إليه عمر: (إن حالت بينك وبينه فاطمة فاضربها) ـ فألجأها قنفذ لعنه الله إلى عضادة باب بيتها ودفعها، فكسر ضلعها من جنبها فألقت جنيناً من بطنها. فلم تزل صاحبة فراش حتى ماتت صلى الله عليها من ذلك شهيدة ... فنادى علي عليه السلام قبل أن يبايع ـ والحبل في عنقه ـ: ﴿إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِي﴾ [الأعراف: ١٥٠]» كتاب سليم بن قيس، ص١٥٠، ١٥٣، ١٥٨. =

من المبغضين له، ولكن هذا لم يثبت.

وقد تنزَّلْت في الحوار معهم إلى درجة أن قلت: هب أنه وصلك عن رجل خبران: أحدهما يقول بعدالته، والآخر يجرّحه، ولم يكن عندك مرجّح بين الخبرين؟ أليس الحريّ بك أن تتحرى الحق من الخبرين، فإن عجزت احتطْتَ لدينك فلم تقع في عرض هذا الرجل، **فلئن يخطئ القاضي في المكافأة فيصرفها إلى غير أهلها أهون من أن يوقع العقوبة على غير أهلها.**

ثم هب أنه ثبت عندك مذمة شخص ما، فهل يكون من الدين أن تتخذ شتمه ديناً وديدناً؟

وهل يأثم المرء إذا ترك شتم إبليس أبي الشرور والآثام؟.

فأقل القليل في حق الصحابة رضوان الله عليهم أن نقول ما قاله تعالى في كتابه: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾ [البقرة: ١٣٤].

والموقف الجدير بأهل الإسلام أن نذكر محاسنهم ونكف عن زلاتهم - لو ثبتت ـ لنكون ممن قال ربنا سبحانه وتعالى عنهم:

﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا

= تحقيق: محمد باقر الأنصاري!. وهذه الأسطورة محض بهتان وكذب وافتراء على الخليفة الثاني عمر الفاروق رضي الله عنه.

ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ [الحشر: ١٠].

قال الإمام الشعبي: «سُئلت اليهود: من خير أهل ملّتِكم؟ قالوا: أصحاب موسى، وسئلت النصارى: من خير أهل ملّتكم؟ قالوا: حواري عيسى، وسئلت الرافضة: من شر أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب محمد ﷺ. أُمروا بالاستغفار لهم فسبُّوهم»[1].

وهنا نسأل: هل الانتساب إلى مدرسة أهل البيت يستوجب سبَّ الصحابة ﷺ؟! ألا يمكن لقلوب المسلمين أن تجمع بين حبِّ آل البيت والصحابة الكرام معاً، كما يتسع قلب المرء لوالديه، وكما يتسع قلب الأم بكلٍّ أولادها؟!.

فبأي منطق يُشتم أصحاب النبي ﷺ في حين تجيز الروايات ملاطفة غير المسلمين عند الحاجة: فعن عبد الرحمن بن الحجاج قال: قلت لأبي الحسن موسى ﷺ: أرأيت إن احتجت إلى الطبيب وهو نصراني أن أسلِّم عليه وأدعو له؟ قال: نعم إنه لا ينفعه دعاؤك»[2].

---

(١) ابن تيمية: منهاج السنّة النبوية ١/ ٢٧.

(٢) أصول الكافي: ٢/ ٦١٥، كتاب: العشرة، باب: ما يجب من المعاشرة، صحَّحه محققه: محمد جعفر شمس الدين.

ألا يستحق مليار مسلم اليوم ملاطفتهم ومنع إيذائهم بمنع شتم رموزهم وسلفهم من الصحابة والتابعين؟!.

ثم ألا يراعي هؤلاء القوم أن أهل السنّة قد «أجمعوا على أن خير القرون قرن الصحابة، ثم الذين يلونهم، وعلى أن خير الصحابة أهل بدر، وخير أهل بدر العشرة، وخير العشرة الأئمة الأربعة، أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضوان الله عليهم، وأن إمامتهم كانت عن رضى من جماعتهم، وأن الله ألّف قلوبهم على ذلك لِما أرادوه من استخلافهم جميعاً بقوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [النُّور: ٥٥]»[1].

فإذا لم يكن الموعودون بالاستخلاف في الأرض ـ والذين حقق الله لهم الاستخلاف كما وعد ـ هم الصحابة الكرام من المهاجرين والأنصار؛ فمن يكونون إذن؟.

الفضل ما شهدت به الأعداء:

ولقد وجدنا من كلام بعض المستشرقين ـ بل وبعض

---

(١) الأشعري: أصول أهل السنّة والجماعة، المسماة برسالة أهل الثغر، ص١٠٠، تحقيق: الأستاذ الدكتور محمد السيد الجليند.

المتشددين المتعصبين للحضارة الغربية منهم ـ ما يؤكد حقيقة مكانة الصحابة العظيمة.

وقد ذكر الأستاذ أبو الحسن الندوي رحمه الله نقولاً عن كتّاب الغرب ينصفون صحابة رسول الله ﷺ الكرام، وكان الأولى بمن ينتسب إلى الإسلام أن ينصف أصحاب نبيّه الكريم رضوان الله عليهم، قبل أن يأتي بعض كتّاب الغرب فيعرِّفوه فضلهم.

فهذا الكاتب الألماني كاتاني يقول في كتابه (سنن الإسلام): «لقد كان هؤلاء الصحابة الكرام ممثلين صادقين لتراث رسول الله ﷺ الخلقي، ودعاة للإسلام في المستقبل، وحمَلة لتعاليم محمد . . .لقد كان هؤلاء قادة الإسلام السابقين الكرام الذين أنجبوا فقهاء المجتمع الإسلامي وعلماءه ومحدّثيه الأولين»[١].

ويقول غوستاف ليبون في كتابه (حضارة العرب): «إن فراسة الصحابة وحُسن تدبيرهم قد جعلهم ينجحون لدى كل فرصة ومناسبة، لقد وقع الاختيار للخلافة في العهد الأول على أُناس كان جُلّ غرضهم نشر الدين المحمدي»[٢].

ويقول في (انقراض وسقوط المملكة الرومية): «لقد كانت

---

(١) Catan; (annali delli islam) vol. 11 p429

(٢) حضارة العرب، ص١٣٤، ترجمة شمس العلما السيد علي البلكرامي.

أخلاق الخلفاء الأربعة الأولين، وتصرفاتهم نزيهة ومضرب المثل، إن نشاطهم وتفانيهم إنما كان بإخلاص تام، ورغم التمكن والثراء والسلطة فقد أفنوا أعمارهم في أداء المسؤوليات الخلقية والدينية».

حتى إن فيليب حتي يقول: «عاش أبو بكر ﷺ قاهراً للمرتدين وموحّد الجزيرة تحت راية الإسلام حياة ساذجة بسيطة ملؤها الوقار . . .أما عمر ﷺ الخليفة الثاني فكان رجلاً جلِداً نشيطاً ومثالاً حياً للبساطة والاقتصاد . . .وقد مجّد عمرَ الكتّابُ المسلمون لتقواه وعدله وتواضعه ووقاره»[١].

فكيف يجوز لأمة عزّت بدينها على أيدي رموزها أن تكسّر هؤلاء الرموز الذين اعترف بفضلهم وعدلهم أعداؤها قبل أصدقائها؟!

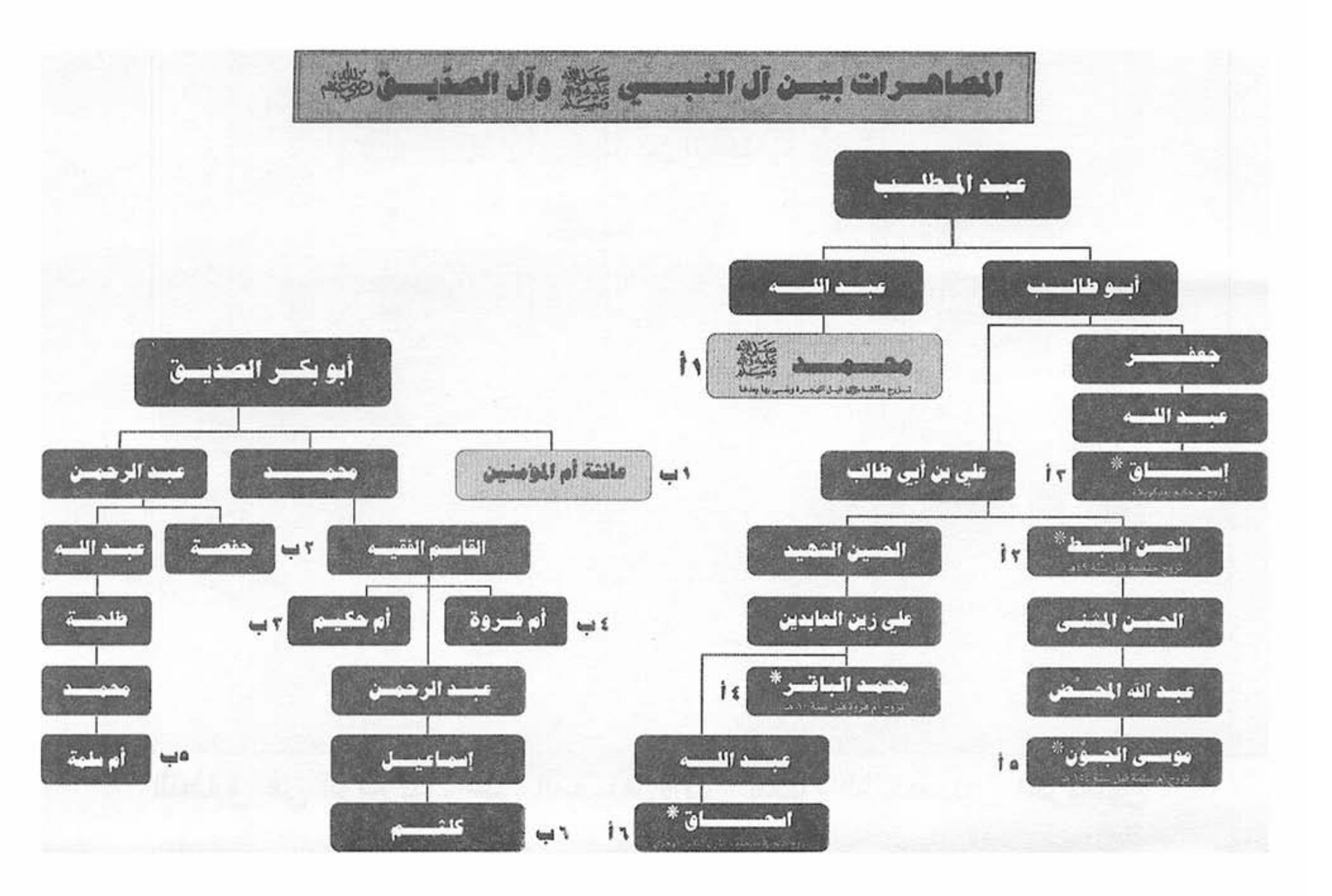
جمعنا الله تعالى والمسلمين جميعاً تحت راية المصطفى ﷺ يوم القيامة مع آل بيته الأطهار وصحابته الأخيار.

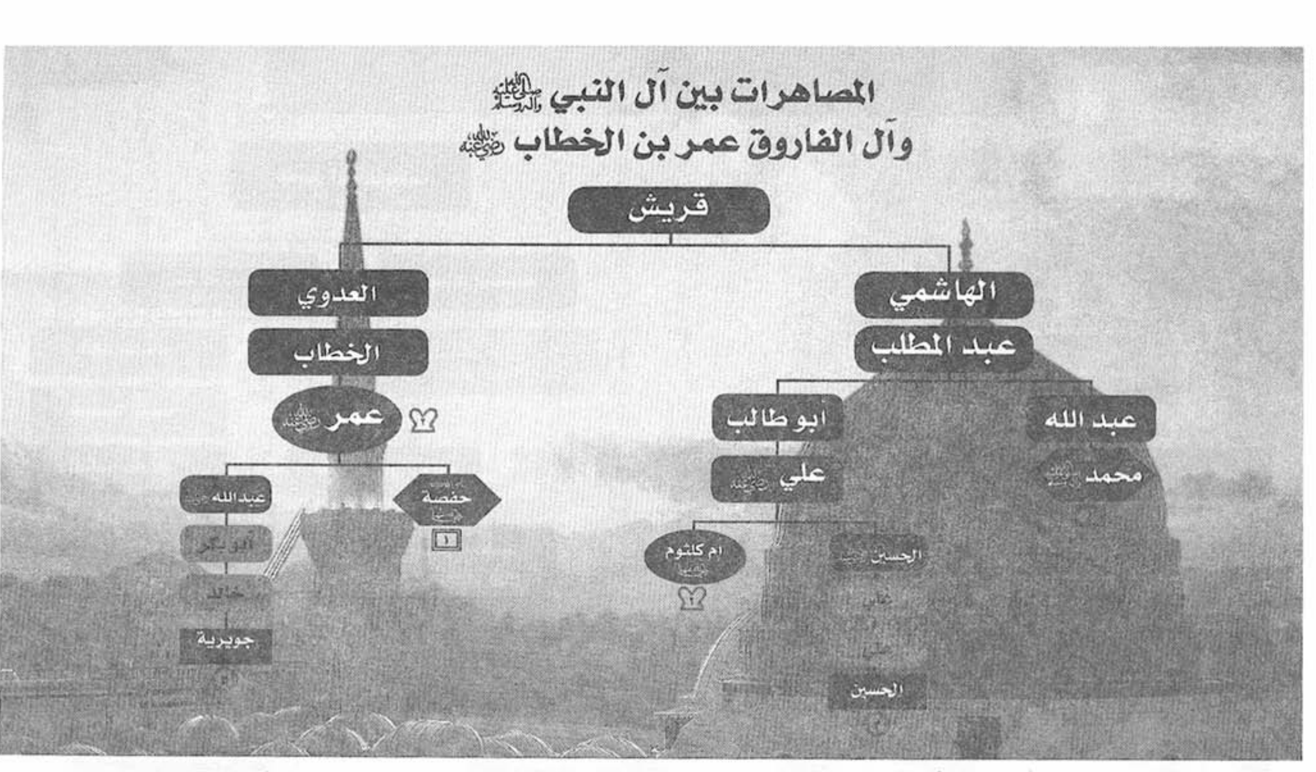
---

(١) فيليب حتي: العرب تاريخ موجز، ص٧٢، ٧٣، دار العلم للملايين ١٩٤٦م، وهذه النصوص كلها مأخوذة من كتاب (صورتان متضادتان) للأستاذ أبي الحسن الندوي رحمه الله، ص٣٢، ٥٣، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م.

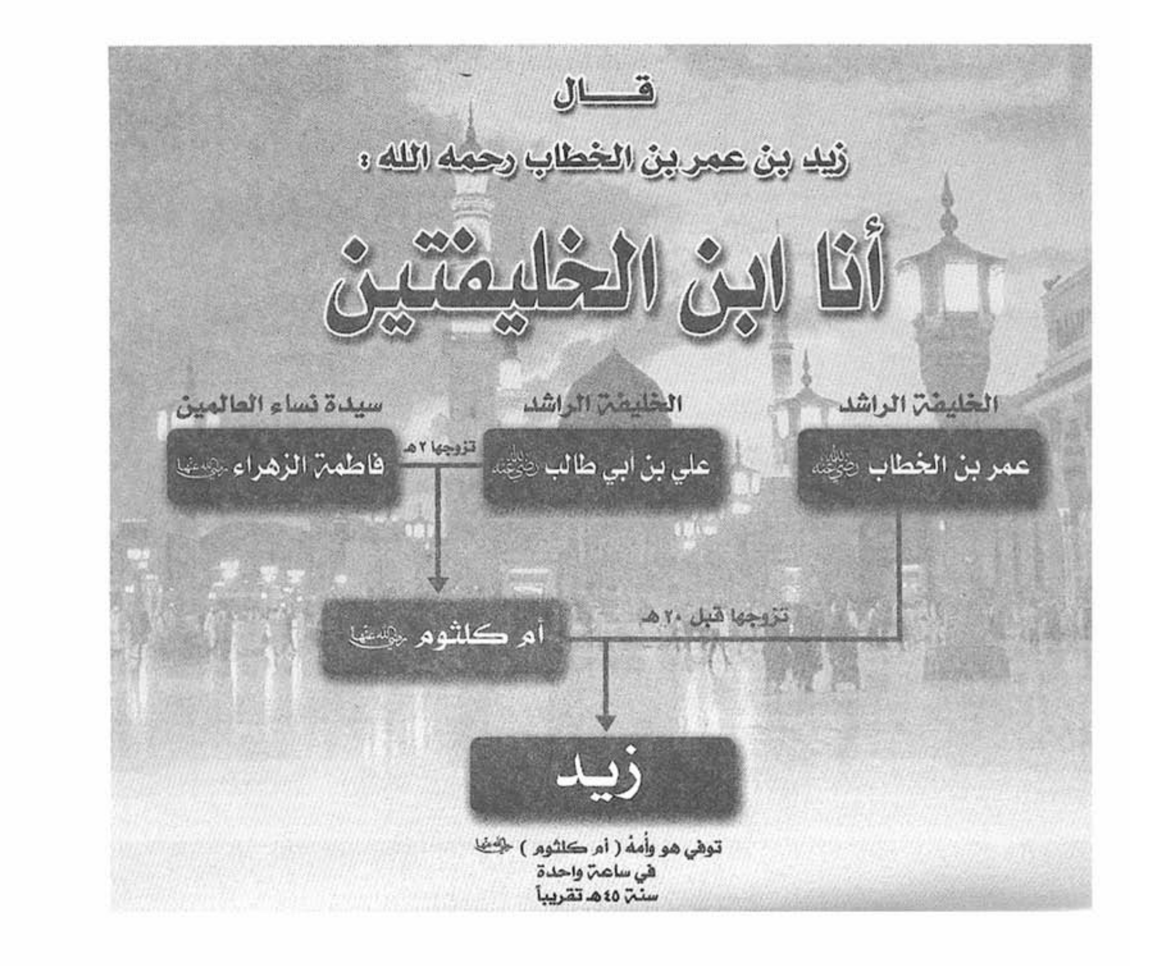
وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.


المصاهرات بين آل النبي ﷺ وآل الصدّيق رضي الله عنهم
عبد المطلب
أبو طالب
عبد الله
محمد ﷺ
١ أ
جعفر
عبد الله
إسحاق *
٣ أ
علي بن أبي طالب
الحسن السبط *
٢ أ
الحسين الشهيد
الحسن المثنى
علي زين العابدين
عبد الله المحض
محمد الباقر *
٤ أ
موسى الجوْن *
٥ أ
عبد الله
إسحاق *
٦ أ
أبو بكر الصدّيق
عائشة أم المؤمنين
١ ب
محمد
عبد الرحمن
القاسم الفقيه
حفصة
٢ ب
عبد الله
أم فروة
٤ ب
أم حكيم
٣ ب
طلحة
عبد الرحمن
محمد
إسماعيل
أم سلمة
٥ ب
كلثم
٦ ب

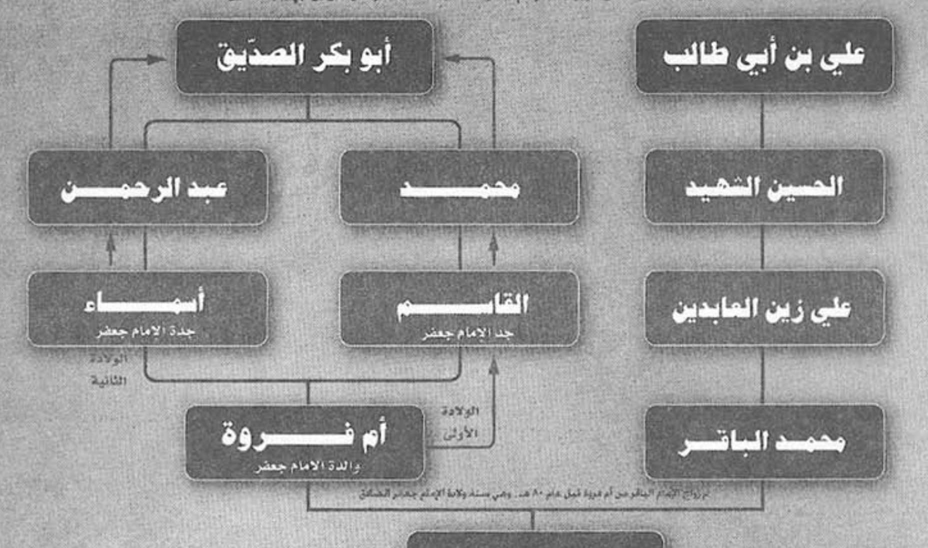


التطابق في الرقم يدل على المصاهرة بين هاتين الشخصيتين الكريمتين



قـــال
زيد بن عمر بن الخطاب رحمه الله :
أنا ابن الخليفتين
الخليفة الراشد
عمر بن الخطاب رضي الله عنه
الخليفة الراشد
علي بن ابي طالب رضي الله عنه
سيدة نساء العالمين
فاطمة الزهراء رضي الله عنها
تزوجها ٢ هـ
تزوجها قبل ٢٠ هـ
أم كلثوم رضي الله عنها
زيد
توفي هو وأمهُ (أم كلثوم) رضي الله عنها
في ساعة واحدة
سنة ٤٥هـ تقريباً


مقولة الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه
((ولدني أبو بكر الصدّيق مرتين))*
الولادة الأولى: عن طريق والدة الإمام جعفر الصادق أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق.*
الولادة الثانية: عن طريق جدة الإمام جعفر الصادق أسماء بنت عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق.*


علي بن أبي طالب
أبو بكر الصدّيق
الحسين الشهيد
محمد
عبد الرحمن
علي زين العابدين
القاسم
جد الإمام جعفر
أسماء
جدة الإمام جعفر
الولادة الثانية
محمد الباقر
الولادة الأولى
أم فروة
والدة الإمام جعفر
زواج الإمام الباقر من أم فروة قبل عام ٨٠ هـ، وهي سنة ولادة الإمام جعفر الصادق
الإمام جعفر الصادق

محتويات الكتاب

الفصل الثاني

محبّة الصحابة في مدرسة أهل البيت

الفصل الثالث

التسامح في منهج الصحب والآل، والتشدد عند غيرهم



نعم المودة والمحبة ... بين القرابة والصحابة رضوان الله عنهم
أجمعين هكذا عَنْوَنَ الكاتب بحثه المقتضب المعبّر .... المودة ...
المحبة ... روح المؤمن . وزاده في الطريق إلى الله عز وجل . وبين
مَنْ ؟ بين الصحابة والقرابة ، من اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه
فكانوا غرّة الدهر ، بهم صنعت يد الله ما شاءت أن تصنع ، أخذوا
القرآن غضّاً طرياً من الوحي ، فأمكنوه من قلوبهم ، وتمثلوا قيمه ،
فكانوا مصاحف تمشي على الأرض وعيونهم ترنو إلى عرش
الرحمن ، ثم نقلوه إلى الأمة كاملاً بصدق وأمانة ، ومضوا إلى ربهم
فلا وعورة الطريق أوهنت عزائمهم ، ولا مفاتن الدنيا حرفتهم
عن منهجهم الذي باعوا أرواحهم من أجله ، لقد زكّاهم نَبِيّهم فقال
((خير القرون قرني)) ، رضي الله عنهم وأرضاهم اللّهُمَّ إنا نشهدك
أنا نحبهم ونوقرهم ونعرف لهم سابقتهم فاحشرنا معهم أجمعين



تلفاكس 00963 11 2247242
ص . ب 31429
meraj.press@gmail.com
سورية - دمشق